

المقطف

الجزء الثاني من المجلد العاشر بعد المئة

١٩ ربيع أول سنة ١٣٦٦

١٠ فبراير سنة ١٩٤٧

مدرسة الاسكندرية

برنامج تدريس الطب بها إلى أواسط القرن السابع الميلادي
وانتقال حركة العلم إلى أنطاكية

إذا قلنا إنه كان لمدرسة الإسكندرية في العصر القديم برنامج للطب دُرِّس فيها واتخذ وسيلة إلى تخريج الأطباء ، فليس معنى ذلك أن نقول إن " هذا البرنامج قد وضع في أول العهد لتأسيس هذه المدرسة . ذلك بأن أساس هذه المدرسة قد تطور مع الزمن ، فكانت في أول أمرها مكتبة وضع نواتها بطليموس الأول (بن لاغوس) ونماها وأوسع من أرجائها وأمدّها بمؤلفات العالم الأغريقي إبنة بطليموس فيلادلفوس ، ومن حول هذه النواة تخرج علماء وفلاسفة ورياضيون وغراماطيقيون وشعراء نابهون ، كانوا البزرة التي فرخت منها تلك المدرسة العظيمة . ومن أعظم الذين نموا هذه البزرة الطيبة رجال ونساء من أشهر من انحدرت إلينا أعمالهم من العالم القديم . ولنذكر بعضاً منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

(١) اقليدس Euclid الرياضي وهو الذي جمع الحقائق الهندسية التي كانت مشتتة في حلقات الدرس الأغريقية ورتبها على أسلوب نظيم ، فجاء كتابه في مقالات لا تزال إلى الآن موضع الإعجاب الجم .

ومن طرائف حياة هذا الرجل العظيم أن بطليموس فيلادلفوس أراد أن يتعلم الرياضة ، فأخذ يحضر على إقليدس ، ولكنه أنس في هذا العلم من الغموض والاستغلاق ما جعله يسأل أستاذه يوماً : ألا يوجد طريق أسهل لتلقي هذا العلم ، فقال له إقليدس بلا تلعثم : الطريق الممهود ليس طريق العلم .

(٢) ارستارخوس : Aristarchus وهو الذي نقل التعاليم الفيثاغورية الى مدرسة الاسكندرية ، وبخاصة القول بدوران الأرض من حول الشمس ، واشتغل بتعيين بُعد الشمس عن الأرض ، فوقع كذلك على طريقة رياضية كانت موضع الدرس والبحث قروناً عديدة .

(٣) إراتوستينس Eratosthenes وهو رياضي وفلكي ، وهو أول واضع للطريقة المعروفة في كتب الحساب لإيجاد الأعداد الأولية ، وحل المسألة الرياضية المعروفة بتضعيف المكعب ، واختراع الكرة الصناعية التي تمثل دورة الافلاك ، وعين ميل دائرة البروج على خط الاستواء ، وعين بالتقريب حجم الأرض بواسطة الشمس في بئر بأصوان بصعيد مصر .

(٤) أفولونيوس Apollonius ولو لم يكتب هذا الرجل غير ما كتب في القطوع المخروطية لكان ذلك شاهداً على نبوغه وعبقريته . وقد ترجم هذا الكتاب في عصر المأمون . ثم علق عليه الشروح والخواشي الكثيرة . ومما يتضمنه هذا الكتاب بحوث في الخطوط الأهليلجية والهندولية أي المخروطية الناقصة والزائدة ، وبعض مسائل في النهايات الكبرى والصغرى ، وكلامه فيما يسمى الآن المنتحيمات المنتشرة حتى في مراكز الالتصاق .

(٥) أبرخوس : Hipparchus وكان من آثاره تقديم علم الهيئة ، إذ عين السنة الشمسية الحقيقية ، وحسب جداول لاختلاف الشمس ، واكتشف الاعتدالين : الربيعي والخريفي ، وطريقة تعيين مواقع البلدان والأماكن بخطوط الطول وخطوط العرض ، وقاس بعد القمر عن الأرض ، وعمل الزيج المشهور للنوابت ، ومنذ ظهور أبرخوس حتى ظهور المسیح ، لم يظهر في الشرق من عالم إلا وكان من خريجي جامعة الاسكندرية .

(٦) جامينوس : Geminus وهو الذي أرخ لعلم الفلك .

(٧) سوسيفانس : Sosigenes الذي أصلح حساب الوقت البيوليوسي

(٨) تودوروس : Theodorus مؤسس علم الهيئة الكروية .

(٩) بطليموس الفلكي مؤلف كتاب « المجسطي » المعروف عند العرب ، وكان كثير من القدماء يعتقدون أنه آله . وكان كتابه هذا أساس علم الأمة العربية . والامم الاوربية بعلم الهيئة أربعة عشر قرناً طوالاً . وهو الذي وضع النظام المعروف باسمه أي النظام البطليموسي ، وأول من صنع الخرائط الجغرافية بواسطة الاسقاطات ، وألف في الضوء وتبكم باسمه عن انكساره ، كما ألف في الموسيقى والميخانيقا وغيرها من الفنون .

(١٠) ديوفانتوس : Diophantus : وهو واضع علم الجبر ، وعنه أخذ العرب .

(١١) ثاون : Theon ، وكان فلكياً حسب خسوف القمر في سنة ٣٦٥ ق.م . ولكن لم تعرف الطريقة التي اتبعها في ذلك ، وكان من شراح مقالات افليدس والمجسطي بطريقة بذ بها غيره من الشراح والمعلقين .

(١٢) هــو پاشـيا : Hypatia وهي أشهر النساء اللواتي يذكرهن التاريخ القديم ، نبغت في الرياضيات والفلسفة ، وقد درست في مدرسة الاسكندرية ، تطلعت ببلاغتها السامعين . ولها مؤلفات كثيرة منها كتاب في علم الهيئة ، وشرح على كتاب ديوفانتوس ، وآخر على كتاب اپولونيوس في القاطع المخروطية .

هذا ولم نذكر سلسلة طويلة من الغراماطيقيين والفلاسفة أمثال كليخوس ومجسياس وطائفة من نوابغ مدينة « قورينة » هبطوا الاسكندرية وتعلموا وعلموا بها . ولا يفوتنا أن نقول في ختام هذا التمهيد إن جالينوس أبا الطب قد درس في أثينا أولاً ثم في الاسكندرية من بعد ذلك ، ثم ذهب الى فرغامون ، ثم الى رومية ، ومات سنة ٢٠٠ بعد الميلاد .

إذن نعرف من هذا أن الاسكندرية قد شهدت في مدى قرون عديدة سلسلة من العظماء في مختلف الفنون والعلوم أسسوا بها عظمة مدرستها الخالدة .

وقد يتضح لنا من بحث كتب الطبقات ان مدرسة الاسكندرية قد بلغت من النظام مبلغ الجامعات الحديثة ، سواء أمن ناحية وضع برامج الدرس العلمي والفلسفي ، أم من ناحية أسلوب البحث والدروس الأكاديمي الصحيح . فقد قام نظام الدرس في تلك الجامعة الفذة على أساس التعاون الكامل في التقصي العلمي بين جماعة من الاساتذة المبرزين تميزوا

أصوب البحث العقلي ، وطلبة يعاونونهم على الاستعماق فيه . ولا ريب في أن هذه الروح العالمية هي وراثية عن مدارس أثينا القديمة نقلها الأفاقة إلى عاصمة الدنيا الجديدة في العالم الإليني Hellenic منذ بدء عصر الاسكندر المقدوني .

قال أبو الحسن علي بن رضوان في كتاب « المنافع » في كيفية تعليم صناعة الطب : « وانما اقتصر الاسكندرانيون على الكتب الستة عشر من صائر كتب جالينوس ، في التعليم ليكون المشتغل بها إن كانت له قريحة جيدة وهمة حسنة وحرص على التعليم ، فانه إذا نظر في هذه الكتب اشتاقت نفسه بما يرى فيها من عجيب حكمة جالينوس في الطب الى أن ينظر في باقي ما يحده منها . وكان ترتيبهم لهذه الكتب في سبع مراتب » (١) .

ولم أقف في خلال بحوثي على برنامج كامل درس في عصر بعينه من عصور مدرسة الاسكندرية . غير أن برنامج صناعة الطب في هذه المدرسة يدلنا دلالة واضحة على ما بلغ نظام الدرس فيها من الرتبة والكمال وتنظيم المعلومات وتسلسل التلقي في درجات تسلم كل درجة منها الى الدرجة التي تليها . وقد نقول قياساً على هذا إن شأنهم في درس بقية العلوم لم تكن تنزل عن صناعة الطب نظاماً ورتابة ، فالفلسفة والرياضيات والآداب والميكانيقا ، من العلوم التي ازدهرت في مدرسة الاسكندرية ونشرت في جوانب العالم القديم نور المعرفة الصحيحة . بل اني لا أبالغ إذا قلت إن الفلسفة والرياضيات على الأخص علان قد نشأ في أثينا ، ونظما وازدهرا في الاسكندرية . وما بقية المدارس التي نشأت في حوض البحر المتوسط غير فروع وشعب نشأت من الدوحتين العظيمتين : أثينا أولاً ، والاسكندرية ثانياً .

ولا يسعني أن أدلك على صحة ما أذهب اليه الآن بشرح برنامج صناعة الطب في الاسكندرية ، لتعلم قياساً عليه ، انه كان لكل من العلوم الأخرى برامج مشابهة له ، وإن حرية البحث كانت رائد الأساتذة وطلبة المتعلمين معاً ، وبرهاننا على ذلك حياة الفيلسوفة العظيمة هوباشيا ابنة ثاؤن الاسكندري ، وقد قتلت في الاسكندرية في ثورة من ثورات الدهاء في عهد انتشار النصرانية .

أسس صناعة الطب في الاسكندرية الحكيم جالينوس ، ولو لم يكن من أبنائها . هبط جالينوس الاسكندرية ، وظل بها زماناً لا ندري على التحقيق مداه . ولكن رجال المدرسة اتخذوا مؤلفاته أساساً لدرس صناعة الطب فهو أبو الطب في هذه المدرسة ، حيث كانت مؤلفاته أساس التعليم بها ، فقد أختيرت ستة عشر مقالة من مقالاته في هذه الصناعة قام عليها برنامج الدراسة ، وقسم البرنامج سبع مراحل يدرس في كل مرتبة منها كتب معلومة من كتب جالينوس المختارة ^(١) ولا شك عندي في أن العرب نهلوا صناعة الطب عن الاسكندرية ، فقد كانت في العصر القديم مستقر هذه الصناعة ومنبعها الأول ومستقاهها الخصب .

المرتبة الاولى

هي المدخل الى صناعة الطب . ومن يدرسها يمكنه أن يتعاطى أعمال الطب الجزئية ، ومنها يتدرج من يريد التوسع الى المراتب التي تليها ، فاذا اقتصر عليها ، لم تخف عليه منافع علاج الأمراض . ويدرس في هذه المرتبة أربعة كتب :

(١) كتاب الفيرق : وهو مقالة واحدة ، ويستفاد منه قوانين العلاج على رأي أصحاب التجربة ، وعلى رأي أصحاب القياس . « إذ كان بالتجربة والقياس ، يستخرج الناس جميع ما في الصنائع . وما اتفقا عليه هو الحق ، وما اختلفا فيه نُظِرَ ، فان كان طريقه القياس عمل على قوانين القياس فيه ، وان كان طريقه التجربة ، عمل على قوانين التجربة فيه » (٢) كتاب الصناعة الصغيرة : يستفاد منها جملة صناعة الطب كلها نظرياً وعملياً .

(٣) كتاب النبض الصغير : وهو مقالة واحدة ، يستفاد منه جميع ما يحتاج اليه المتعلم من الاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الأمراض .

الكتاب المسمى بأغلاوَقَن : وهو مقالتان ، يستفاد منه كيفية التأني في شفاء الأمراض ، ولأن من يتعاطى الأعمال الجزئية من الطب ، يضطر إلى معرفة قوى ما يحتاج إليه من الأغذية والأدوية ، والى أن يباشر بنفسه أعمال اليد من صناعة الطب ، ولزمه أن

(١) اعتمدنا في شرح هذا البرنامج على كتاب طبقات الاطباء ج ١ ص ١٠٦ الى ١٠٩ وربما استعملنا الفاظه وعباراته بنصها في بعض المواضع ، مع تحوير في الوضع يجعل التصود أبين وأجلى

ينظر فيما تدعو إليه الحاجة من الكتب التي مماها جالينوس في آخر الصناعة الصغيرة ، أو يتعلم ما يحتاج إليه من ذلك تلقيناً ومشاهدة .

ويستدل من هذا على أن هذه المرتبة تتناول قوانين العلاج والصناعة نظرياً وعملياً والاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الأمراض والتشخيص والتمريض والاقرباذين العملي إلى تركيب الأدوية والعقاقير . والكتب التي تدرس في هذه المرحلة « مقنعة للتعليم في تعليم صناعة الطب . فأما الكامل ، فإنه يتذكر بها جميع ما فهمه من الصناعة » .

المرتبة الثانية

تدرس في أربع كتب :

(١) كتاب الأسطقسّات : مقالة واحدة ، ويبحث في أن بدن الانسان وما يحتاج إليه سريع التغير قابل للاستحالة . وهذه الأسطقسّات ضروب : منها أسطقسّات البدن القريبة منه ، وهي الأعضاء المتشابهة الأجزاء ، كالعظام والأعصاب والشرابين والعروق والأغشية واللحم والشحم وغير ذلك . وهذه الأعضاء تتألف من أسطقسّات هي الأخلات الأربعة : الدم والصفراء والسوداء والبلغم . وهذه الأخلات تتألف من أسطقسّات هي النار والهواء والماء والأرض . ومبدأ التكوين من هذه الأربعة ، والانحلال يقع عليها ، أو يصير إليها . وهذه الأسطقسّات قابلة للتغير والاستحالة .

« وهذا الكتاب هو أول كتاب يصلح أن يبدأ به من أراد استكمال تعليم صناعة الطب » .

(٢) كتاب المزاج : ثلاث مقالات ، يدرس أصناف الأمراض ، وما يتقدم به كل واحد منها وبما قد يستدل عليه إذا حدث .

(٣) كتاب القوى الطبيعية : ثلاث مقالات ، يدرس أصناف القوى التي تدبّر البدن وأسبابها ، والعلامات التي يستدل بها عليها .

(٤) كتاب التشريح الصغير : خمس مقالات . وكان جالينوس قد وضعها متفرقة ، ولكن أهل مدرسة الاسكندرية جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً . ويستفاد منه معرفة

أعضاء البدن المتشابهة وعددها وجميع ما يحتاج إليه فيها ، ويتضمن فيما يتضمنه درس منافع الأعضاء .

المرتبة الثالثة

تدرس في كتاب واحد ، يتضمن ست مقالات كتبها جالينوس متفرقة ، وجمعها الاسكندريون في كتاب واحد ، ويدرس فيها علم معرفة الأمراض وأسبابها والأعراض الحادثة عن الأمراض . « وهذا باب عظيم الغناء في صناعة الطب على رأي أصحاب القياس » .

المرتبة الرابعة

تدرس في كتابين :

(١) كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة : ست مقالات ، يدرس فيها تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الأعضاء الباطنة . « فان هذه الأعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لأنها خفية عن الحس ، فيحتاج الى ان يستدل عليها بعلامات تقوّم كل واحد منها ، فاذا ظهرت العلامات المقومة تيقن أن في العضو الفلاني علة كذا » .

(٢) كتاب النبض الكبير : أربعة أجزاء كل جزء أربع مقالات .

الجزء الأول : يستفاد منه : أصناف النبض وجزئيات كل صنف منها .

الجزء الثاني : يستفاد منه : تعريف إدراك كل واحد من أصناف النبض .

الجزء الثالث : يستفاد منه : تعريف أسباب النبض .

الجزء الرابع : يستفاد منه : تعريف منافع أصناف النبض .

« وهذا باب عظيم النفع في الاستدلال على الأمراض ومعرفة قواها ونسبتها الى البدن »

المرتبة الخامسة

تدرس في ثلاث كتب :

(١) كتاب الحُمَيَّات : مقالتان ، يدرس فيه طبائع أصناف الحميات

(٢) كتاب البَحَرَان : ثلاث مقالات ، يدرس فيها معرفة أوقات المرض ، ليعطى في

كل وقت منها ما يوافق فيه ، ومعرفة ما يؤول إليه الحال في كل واحد من الأمراض ، هل يؤول أمره إلى السلامة منه ، وكيف يكون ، وبماذا يكون ؟

(٣) كتاب أيام البحران : ثلاث مقالات ، يدرس فيها معرفة أوقات البحران ومعرفة الأيام التي يكون فيها ، وأسباب ذلك وعلاماته .

المرتبة السادسة

كتاب واحد ، هو كتاب حيلة البُسر : أربع عشرة مقالة ، يدرس فيه قوانين العلاج على رأي أصحاب القياس في كل واحد من الأمراض . وهذا الكتاب إذا نظر فيه الإنسان اضطره الى النظر في كتاب الادوية المفردة ، وفي كتب جالينوس في الادوية المركبة ، أعني « قاطا جانس » و « الميامر » وكتاب « المعجونات » ، ونحو هذه الكتب .

المرتبة السابعة

كتاب واحد : في تدبير الاصحاء : ست مقالات يدرس فيها صحة كل واحد من الابدان .

مما يدلنا دلالة قاطعة على أن علماء الطب بالاسكندرية قد أدركوا أسلوب البحث الأكاديمي ادراكاً كاملاً ، وانهم تشربوا الروح الجامعية في البحوث العلمية ، أقوال ننقلها عن القدماء ، وكلها تدل على أن هؤلاء العلماء قد بلغوا من الأسلوب العلمي أرقى مبالغه في عصرهم :

قال ابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الاطباء .

« وهذا الكتاب (أي كتاب تدبير الاصحاء الذي يكون في المرتبة السابعة من مراتب دراسة الطب في الاسكندرية) إذا نظر فيه الإنسان ، اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأغذية في كتابه في جودة الكيموس ورداءته ، وفي كتابه في التدبير الملتطف وفي شرائط الرياضة »

وفي هذا برهان كامل على أن هؤلاء العلماء قد أقاموا برنامج الدراسة على أساس تركيبي نظيم بحيث يجرى درس كتاب الى الآخر ، فاذا تدرجت من واحد الى ما بعده وما يترب عليه ، انتهت الى حيث انتهى جالينوس .

على أن الذين نقلوا الطب عن الاسكندرية من العرب ، قد وجهوا الى تدرج الدرس في هذه الصناعة على الصورة التي أسلفناها ، نقوداً قيمة رشيدة ، وعقبوا على الاسكندريين بآراء في درس الطب لا ينقصها المنطق ولا تعوزها راحة النظر .

قال أبو الفرج بن هندو : في « كتاب مفتاح الطب » ما يلي :

« هذه هي الكتب التي اتخذها الاسكندرانيون من كتب جالينوس ، وعملوا لها الجوامع ، وزعموا أنها تغني عن متون كتب جالينوس ، وتكفي كلفة ما فيها من التوابع والفصول » .

وقال أبو الخير الحنّار ، وهو أستاذ أبو الفرج بن هندو :

« أنا أظن أنهم قد قصّروا فيما جمعوه من ذلك لأنهم يعوزهم الكلام في الأغذية والأهوية والأدوية ، قال — « والترتيب أيضاً قصّروا فيه ، لأن جالينوس بدأ من التشرّيح ثم صار الى القوى والأفعال ، ثم إلى الأسططقسّات » .

وقال أبو الفرج بن هندو معقّباً على جميع ذلك بنقد هو غاية في الجودة وإدراك

الحقائق من علوم تلك الصناعة .

« أنا أرى أن الاسكندرانيين إنما اقتصروا على الكتب الستة عشر ، لا من حيث هي

كافية في الطب ، وحاوية للغرض ، بل من حيث افتقرت الى المعلم ، واحتاجت الى المفسّر .

ولا يمكن أن يقف المتعلم على أسرارها ، والمعاني الغامضة فيها ، من غير مذاكرة

ومصارحة ، ومن دون مراجعة ومفاوضة . فأما الكتب الذي ذكرها الأستاذ أبو الخير بن

الحنّار ، فالطبيب مضطر الى معرفتها وإضافتها الى الكتب التي عدّها . غير أنه يمكنه

من نفسه الوقوف على معانيها ، واستنباط الأغراض فيها ، بالقوة المستفادة من الستة عشر

التي هي القوانين لما سواها ، والمراقى إلى ما عداها . فإن قلت : فما حجة الاسكندرانيين في

ترتيبهم لهذه الكتب ، قلنا إنهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه في نفسه بمنزلة كتاب

« الفِرَق » فإنه وجب تقديمه لتتفني به نفس المتعلم من شكوك أصحاب التجربة والمحتملين

ومغالطاتهم ، ويتحقق رأي أصحاب القياس فيقتدي بهم بمنزلة الصناعة الصغيرة . فإنه لما

كانت فيها شراسة من صناعة العلب ، كز الأول أن يتبع بها كتاب « الفِرَق » ويجمل

مدخلاً الى الطب ، ورتبوا بعضها بحسب ما توحىه إضافته الى غيره بمنزلة الكتاب الصغير في النبض ، فانه جعل تابعاً للصناعة الصغيرة ، لأن جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب ، ووجب أيضاً تقديمه على كتاب جالينوس الى أغلوقسن ، لانه تكلم في هذا الكتاب في الحميات . والنبض هو أول شيء يعرف منه أمر الحيات . على أن الترتيب الذي ذكره الأستاذ أبو الخير ، إن جالينوس أساء إليه ، هو لعمري الترتيب الصناعي . وذلك إنه يجب على كل ذي صناعة أن يتسدرج في تعليمها من الأظهر الى الأخفى ، ومن الأخير الى المبدأ . والتشريح هو علم البدن وأعضائه . وهذه هي أول ما يظهر لنا في الانسان ، وإن كانت آخر ما تفعله الطبيعة . فان الطبيعة تأخذ أولاً الاسطقسات ^(١) ، ثم تخرجها فيحصل منها الأخلط ، ثم تفعل القوى والأعضاء .

« فيجب ان يكون طريقنا الى التعليم بالعكس من طريق الطبيعة في التكوين . ولكننا ندع هذا الاضطراب ، ونرضي ترتيب الاسكندرانيين ، لأن العلم حاصل على كل حال ، وخرق اجماع الحكماء معدود من الخرق » . اه .

ونحن نقول من ناحيتنا إن قدماءنا لو لم يخضعوا لهذه القاعدة ، قاعدة أن « خرق اجماع الحكماء معدود من الخرق » لبلغوا من العلم مبالغ عليها . ذلك بأن خرق اجماع الحكماء كان في جميع الأزمان وفي كل الملابس ، السبيل الى العلم والى المعرفة . قال ابن أبي أصيبعة ص ١٠٩ ج ١ :

« للاسكندرانيين جوامع كثيرة في العلوم الحكيمة والطب ولا سيما لكتب جالينوس وشروحاتها لكتب أبقرط » . وذكر من أولئك الذين نبغوا في الاسكندرية : شمعون الراهب المعروف بطيبويه . أهرون صاحب الكناش ، ألف كناشة بالسريانية ، ونقله ماسرجيس الى العربي ، وهو ثلاثون مقالة ، وزاد عليها ماسرجيس مقالاتين . يوحنا ابن سرابيون ، وجميع ما ألف سرياني ، وكان والده سرابيون طبيباً من أهل باجرمي ، وخرج ولدها طبيبين فاضلين ، وهما يوحنا وداود ؟ وليوحنا بن سرابيون من الكتب كناشه

(١) اذا قرنا ما عناه الاقدمون بالاسطقسات بالخلايا والأعضاء في الطب الحديث ، بان لنا طرف من حقائق الطب عند الاسلاف .

الصغير ، اثنتا عشرة مقالة ، وكناشه الصغير ، وهو المشهور : صبع مقالات . ونقله الحديثي الكاتب لأبي الحسن بن نفيس المتطبب في سنة ثمانية عشرة وثلاثمائة ، وهو أحسن عبارة من نقل الحسن بن البهلول الأواني الطبرهاني ، ونقله أيضاً أبو النضر مئسى ، ومنهم : أنطيلس ، برطلاومس ، سند هشار ، القهلمان ، أبو جريح الراهب ، أوراس ، بونيوس البيروتي ، سيورخنا ، فلاغوسوس .

ومن هذه الأسماء ما هو أغريقي ، وفيها ما هو سرياني . ثم عيسى بن قسطنطين ، ويكنى أبا موسى ، « من جملة أفاضل الأطباء » . وله من الكتب كتاب الأدوية المفردة ، وكتاب البواسير وعملها وعلاجها . ومنهم أرس ، وسرجيس الراس عيني ، وهو أول من نقل كتب اليونانيين على ما قبل إلى السريانية ، « وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة » . ومنهم أنطوس الأمدي صاحب الكناش المعروف « ببقوقيا » . وغريغوريوس صاحب الكناش ، قال ابن أبي أصيبعة - « وأكثر كتب هؤلاء موجودة ، وقد نقل الرازي كثيراً من كلامهم من كناشه الكبير الجامع المعروف بالحاوي » . جاء في كتاب طبقات الأطباء : مترجماً لطبيب عربي من كنانة :

« عبد الملك بن أبحر الكناني : كان طبيباً طامياً ماهراً وكان في أول أمره من الاسكندرية . لأنه كان المتولي التدريس فيها من بعد الاسكندرانيين^(١) الذين تقدم ذكرهم . ذلك عند ما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى . ثم أن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الاسكندرية أسلم ابن أبحر على يد عمر بن عبد العزيز ، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة وصحبته ، فلما أفضت الخلافة إلى عمر في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نُقل التدريس إلى إنطاكية وحرَّان وتفرَّق في البلاد » .

وغالب الظن أنه منذ ذلك الوقت أخذ نجم مدرسة الاسكندرية يأفل ، وذلك في أواخر القرن السابع الميلادي كما أفل نجم مدارس أثينا عند ما أغلقها في القرن السادس الميلادي الامبراطور يوستينيانوس البوزنطي .

اسماعيل مظهر

(١) يعني الاغارقة والسريان .

عانس

وقفت تطالع في كتنا
وتدير مقالة وامق
وعلى حياءها الدهول
يا ليت شعري ما يجن
بجر من الذات يعصف
والشهوة الحمراء في
في كل ربع وقفة الشكلي لها عند اللحود
والذكريات بصدرها
... فلقد شجها أن شمس
وطلائع الشيب الذميم
يا خيمة الحلم السعيد
ولى الشباب ونفسها

قامت تجمجم من أسي
وخلال أضلعها سجين
يهتز من مضض الجوى
وتثيره ذكرى الشباب
فتخاله ناقوس دير
يا خيمة الحلم السعيد
ولى الشباب ونفسها

عمرنا مر رم بك

دمشق

قرأت
طالباً صغ



صيدم
والكنهم

الاطفال

عشراء الوحوش (١)

قرأت نبأ ذلك الغزال الآدي فعادت بي الذاكرة إلى أكثر من نصف قرن حين كنت طالباً صغيراً بمدرسة الأمريكان بحي الأزبكية بالقاهرة حيث منحت وقتئذ جائزة هي كتاب (قلادة النحر في غرائب البر والبحر) وذلك لفوزي على الأقران في الدراسة في ذلك الزمان. وما أذكره حتى الآن وقد فقدت هذا السفر النفيس وأصفاه منذ جيل أنه من مطبوعات بيروت. وما برحت أذكر كذلك البحث الذي تضمنه بشأن عشراء الوحوش في القرن الماضي. ودار الز من دورته فوق نظري ذات يوم على كتاب مدرسي كان يدرسه نجلي الأصغر إذ كان طالباً بمدرسة حكومية - بالقسم الثانوي ، وأعني به (الجزء الأول من كتاب المطالعة للمدارس الثانوية ، المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٣٠ فتصفحته فعثرت فيه على النبذة التالية في الموضوع نفسه : —



صورة الغزال الآدي

على أن لبعض الذئاب بيلااد الهند فضيلة لا يحسن أن نسكت عنها، فقد ثبت أن بعض صيادي الهند عثروا في أثناء صيدهم على ذئاب تتبعها أطفال من بني الانسان كما يتبع الاليف أليفه ، والولد أمه وأباه ، ولكنهم يمشون على أربع ويلجئون معهم الى الكهوف والمغارات وإذا حز بهم الأمر وأحاط

(١) بمناسبة ما روته الصحف بشأن الغزال الآدي ، رأيت أن أشرح هذا الموضوع فيما يلي : —

بهم الصائدون عووا كما تعوى الذئاب ، ينفرون من الإنسان متى وجدوه ، ويستأنسون الذئب إذا سمعوه . وفي ذلك المعنى قال الشاعر : —

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر
فقد هؤلاء الأطفال أهلهم بنسكة من نكبات الهند فحنت عليهم الذئاب وعطقت عليهم
عطفها على أجرائها حتى صاروا لا يعرفون سواها ، واحتادوا المعيشة معها وفقدوا كثيراً
من مميزات الإنسانية والمدنية . تم بحروفه .
وإليك ما جاء في المراجع الانكليزية : —

إن أحدث الحوادث التي من هذا القبيل حكاية الولدين الهنديين المتوحشين وهما آمالا وكالا
الذنان وجدها الرواد سنة ١٩٢١ عائشين مع الذئاب في كهف من كهوف تلك البلاد ثم قصة
« لوكاس » وهو صبي من أهالي جنوب أفريقية ، ربته القردة وعاش معها حتى أتيج إنقاذه
من وسطها ، ذلك أنه وجد حوالي سنة ١٩٠٣ وهو يناهز الرابعة عشرة من عمره ، فصارت
حادثته أولى الحوادث الحقيقية للأطفال الذين تبنتهم الحيوانات الندية وربيهم .
ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أن صحف جنوب أفريقية وأوروبا وأمريكا ، ظلت
أكثر من عشر سنوات تروي لقرائها من حين إلى آخر . روايات رائعة على ذلك الغلام
العجيب . وكان أول حديث بشأنه ، الخبر الذي أرسل من مدينة يوهانسبرج إلى أمريكا ،
عن طريق شركة التيمز النيويوركية ، فأذاعته على قرائها في عددها الذي صدر يوم الأحد ٢١
أغسطس سنة ١٩٢٧ . وإليك ما جاء فيه برمته : —

« كان جنديان من الفرسان القدماء في بوايس مدينة الكاب ، يرتادان أحد مجاهل
الاصمق النائية في الجنوب الشرقي من مدينة الكاب ، فصادفتها شذمة من القردة ، يلعب
بعضها مع بعض ، في حوض كانت أرضه قد مهدت وأعدت للزراعة ، وكانت القردة تعبت
فيها فساداً كأنها أطفال تلهو وتمرح ، فلم يرق عبثها أحد ذينك الفارسين . فالبث أن
طاردها وأطلق عليها عياراً نارياً من غدارته . فولت الأدبار على الفور ، بيد أن مطارديها
لما قرداً منها ، وقد تخلف عن قافلته من فرط إعيائه ، على حين كان زملاؤه يجردون في الحرب
نخيل للفارسين أول وهلة أن ذلك القرد قد أصابه الطلق الناري فجرح فسارما إليه ليقبض
عليه ، فدهشاً دهشاً عظيماً إذ تبين أن صبي وطني لا قرد وحشي لا ينقصه شيء إلا موهبة
الكلام كما يفهمها بنو البشر ، إذ كان يهيمهم ^(١) كالنسناس ، كلما دنا منه الفارسان ليأسراه ،

(١) المهمة ترديد الصوت في الصدر

ثم يقفز حولها على الأربع ، حتى تغلبا عليه . وما إن وقع في أسرها ، حتى سقط في أيديهما ، إذ لم يدركا ما ينبغي عمله نحوه .

فعمدا إلى الكفور القريبة منهما قصد الاستعلام عن أهله فأخفقا إذ عراضه على أبناء وطنه جميعاً فلم يعرفه أحد منهم ، ومن ثمة نقلاه إلى معهد من معاهد الأمراض العقلية حيث أقام زهاء سنة ، لم تبدر منه في خلالها أية بادرة تنم على ميله إلى الرذيلة ، مع إنه كان عربيداً مشغولاً بالمرأوخة ، وهما من الصفات التي اكتسبها من معاشرته للقرود . ولم يكن في وسعه أن ينبس ببنت شفة . وكان يقدم له ألد أغذية المستشفى فلم يستطيعها ، بل كان يؤثر عليها الذرة الخضراء والتين الشوكي ، فيتناول منهما ثلاث وجبات يومياً . وما برح حتى كتابة هذه السطور في أواخر سنة ١٩٢٧ ملازماً عاداته القديمة في غذائه ولا سيما شراسته في أكل التين الشوكي ، فقد شوهد في جلسة واحدة يلتهم ٨٩ تينة منه .

ومع حقيقة أنه كان يبدو عليه شدة الميل إلى السير على الأربع ، بدلاً من الوقوف على ساقيه والاعتماد عليهما وحدهما في المشي ، فقد استبدل المشرفون على إدارة المستشفى العقلي ، إنه لا يصلح للإقامة فيه ، لأن كل ما كان يفتقر إليه هو التدريب فحسب . وحينئذ سمع أحد أرباب الأطباء ، من أخيه الموظف بذلك المستشفى قصة الغلام العجيب . فعرض على ولاية الأمور ، أن يتسامه ويجعله في كنفه ، فلبوا طلبه وسأوه إياه . وكان جسمه لو كاس حينئذ مشوهاً بآثار جروح يخيل لناظرها أنها نتيجة عضات أليمة ، لم يعرف لها سبب . غير أنه لما تعلم الكلام فيما بعد ، أخبر سيده صاحب الضيعة أن الندبة ^(١) الكبرى الباقية في قمة رأسه كانت نتيجة رفسة لعامة .

وظلت نزواته القردية مبعثاً لاستياء المحيطين به رداً من الدهر ، وكان أحب شيء إليه مناوأة القطاط التي تعيش في الضيعة . بيد أنه كان من بدء أمره يلزم الأدب والطاعة مع الناس ، والحب للإطفال ، فأصبحوا يعولون عليه كحاضن لهم . وناهيك به حاضناً أما في الآونة الحالية فقد أصبح لو كاس بلا شك أنفع خادم في المزرعة المشار إليها ، ولا غرو فهو لا يكثرث للوقت ، ولا يعوقه التفرج أو المساء عن الاضطلاع بأعباء أعماله . ولذلك يعهد إليه دائماً في أداء أي عمل في أي وقت ، فيلبي الأمر ، ويثابر على المطلوب منه القيام به متبارة خليقة بالاعجاب ، جديدة بالثقة المعهودة فيه ، فيفوق أي عامل من العمال

(١) الندبة - أثر الجرح الباقي على الجلد والجمع ندب وأنداب وندوب

الوطنيين الذين في دائرة افليمه . وأضحى في وضعه التكلم باللغة الانكليزية كلاماً جيداً إلى حدٍّ ما . ولكنه لا يفهم شيئاً من لغات بني جلدته ، مع أن أعماله تجعله مرتبطاً ببني وطنه ارتباطاً دائماً . وفي هذا الصدد كتب المستر ميكيس الحرر بجريدة ستار ، التي تصدر في مدينة يوهانسبرج التقرير الآتي نصه بشأن هذا الصبي الغريب ، ثم بعث بما كتبه إلى الدكتور دارث حميد جامعة Witwatersrand (وصحة نطق هذا الاسم هي ثيئة: آرزرانت ، في جنوب أفريقية . واليك خواه فيما يلي : —

إن القصة التي قصها عليّ المستر جورج هـ . ميمث ، صاحب مزرعة (ثورنهيل) ، وهي مقر لوكاس منذ ٢٨ سنة كانت آخرها سنة ١٩٣١ مطابقة كل المطابقة لما روته عليه الصحف الأمريكية .

وتحري الخبر أنه في سنة ١٩٣١ صار لوكاس يناهز الأربعين من عمره وأن صيده يعترف بحسن سلوكه ، وجده في عمله وأنه خير معوان له . وهذا إلى جانب طاعته التامة ، وذكائه المفرط ، مع العلم بأن ذلك الذكاء لم يظهر عليه إلاّ من بلوغه الثانية عشرة من العمر ، ثم سرد المستر ميمث تاريخ حياة لوكاس فقال : —

قضى لوكاس طفولته بين القروء ، وهذا امرٌ نحن على يقين منه ، ليس بالأدلة التي تحويها هذه القصة وحدها ، بل بالمشاهدات التي شاهدها بنفسه فيه ، والتي عرفها غيري في خلال الحقبة المديدة التي قضاها لوكاس في ضيعتي . ودليلنا على صدق أقوالنا ، الصورة الجانبية لوجهه ومرأوغته ، وطول ذراعيه ، ونمو ردفه نمواً شاذاً ، وتنكيس رأسه ، واهتزازه دائماً ، والحدوش التي في أعضائه جسمه وصبايته ، ثم الذعر الغريب الذي يعتريه ، وتكثيره عن أنيابه ، وهذه صفات كلها براهين دامغة تثبت يقيناً أنه كان في حياته معاشراً للقروء . ثم أن وجهه لا يشبهه في القروء لأنه ولد ميلاداً طبيعياً لا غبار عليه . وإنما عاداته التي اقتبسها من معاشرته للقروء هي التي جعلته يختلف اختلافاً بيناً عن بني جنسه . وتكلم المستر ميمث في مسألة أصل لوكاس ، فنقل القصة الشائعة الخاصة به موقفاً بصدقها فذكر مضمونها وهو أن لوكاس حينما كان طفلاً صغيراً تركته أمه نائماً ذات يوم وقصدت إلى أحد الحقول لتعزق أرض الدرة . ولما أتت حملها هناك ، عادت إلى كوخها فلم تجد طفلها ، فاعتقدت حينئذٍ أن القروء قد سرقته ، وشرح المستر ميمث كيف تمكن من ترويض لوكاس قائلاً : —

لقد قضيت أشهراً دون استطاعتي إصلاح حاله ، إذ كان ممجياً ميالاً للأذى فوجدت

نفسه مضى
من ارتك
بفضه للم
أية لغة بش
عليهما انق
لي كيف
فرسته ل
فيه إلى الي

ولم ي
محصورة
أما لو
« أص

ثورنهيل
لي طوال
الشوكي وال
وكثيراً ما
وعرة منقب
تلك الساق
كل العربي
عيارات
ثم حملني أ
ذلك الفار

نفسى مضطراً إلى ضربه بالسوط ولا صيما عند تحذيره من العادات الحيوانية القذرة ومنعه من ارتكابه إياها في الدار وحولها . وكانت هاتيك العادات تشبهها في القطة ، ومنها بغضه للماء وإحجامه عن الاغتسال به ، وما كان في وسعي التفاهم معه لأنه لم يكن يعرف أية لغة بشرية ، فجعلت ألقنه بضع كلمات إنكليزية فلم تلبث ذاكرته وذكاؤه أن تنبها فطراً عليهما انقلاب عظيم . وبلغ من حسن استعداده لتعلم أن أخذ بعد مضي سنوات ، يسرد لي كيف كان يشترك مع القروود وهو عشيرها ، في سرقة بيض النعام من أداحيه ^(١) فرفته نعمة هندية منها فجرحته جرحاً دامياً في رأسه وهو الجرح الذي مازال أثره باقياً فيه إلى اليوم .

ولم يكن ذلك الفتى يعرف أي لسان من لغات بلاده ، وإنما كانت معلوماته جميعها محصورة فيما تلقاه عني من الكلمات الانكليزية القليلة طيلة إقامته في كني .
أما لو كاس فقد بسط تاريخ حياته كما هو مثبت في السطور الآتية : —

« أصرّح أنا لو كاس العبي القردي المستخدم لدى المسترج . ميميث صاحب ضيعة ثورهيل بدائرة باذرست (بمركز الكاب) بأني غدوت أستطيع ذكر بعض حوادث مما وقعت لي طوال معاشرتي للقروود ، حيث كان غذائي يؤلف غالباً من الصراصير وبيض النعام ، والتين الشوكي والذرة الخضراء وعسل النحل البري . وقد رفسني في رأسي نعاماً بينما كنت أجهج على أداحيها وكثيراً ما لسعني النحل عند ما كنت أسطو على خلاياه . وقد تسلفت مرة صخرة شاهقة وعرة منقبة عن أي شيء أنغذى به ، فزلت ساقى اليسرى فهويت إلى الحضيض ، فكسرت تلك الساق . ولبثت طيلة معاشرتي للقروود أسير على الأربع وأنام في الأدغال طاري الجسم كل العري . وكنت ذات يوم أبحث عن القوت مع زملائي القروود فأطلق علينا فارسان ، عيارات نارية من مسدساتهم ، فحاولت الهرب بكل ما في طاقتي ، ففشلت ، فقبضوا عليّ ، ثم حملني أحدهما على جواده . ويؤسفني الآن أنني أجهل المكان أو المركز الذي وجدني فيه ذلك الفارس » . X التوقيع هكذا وهو يقوم مقام لو كاس .

معرض ميميث

(١) الادحي — بضم الهزة وسكون الدال — الموضع الذي تبيض فيه النعام وهو على وزن أفعل دحوت لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش .

برلمان الطبيعة

لقد رشحت يا أفقُ السحابا
فأحجم فأد العبرات عنه
فأصبحنا نشاهد « برلماناً »
وينظر للبسيطة وهي ظمأى
ولولا أن أدمعه عذابٌ
فألقى بنظرتيك عليه تعجبٌ
أرائك من رياح الله تحنو
ودارٌ قد بناها الله سقفاً
ونوابٌ شحاحٌ في رضاهم
تحامهم مشيهمو فشبنا
ويا عجباً أراهم ، مع صباهم
هل اقتربوا فلوا القرب منا
تعالى الله ، هذا برلمانٌ
رسالةٌ غيره كلمٌ ، ولكن

وقد أجرت رياحك الانتخابا
وأقدم من له دمعٌ فذابا
يرد الشمس لابساً نقابا
فيسقيها مدامعه العذابا
لكانت عيشة الدنيا عذابا
له ، وكفى به عجباً عجابا
على النواب ، حاسبةً حسابا
ولم يجعل لها جذراً وبابا
كرامٌ إن هم انقلبوا غضابا
وظلوا في معاليهم شبابا
ورفعة قدرهم ، لبسوا اكتئابا
أم اغتربوا فلوا الاغترابا ؟
أطاب لنا معيشتنا ، وطابا
رسالته يؤديها « انتخاباً »

شاعر البراءى

الصراع في العالم العربي

يقولون : إنَّ العالم العربي قد جنى عليه موقعه الجغرافي شرَّ جنائيه . فلو لم تكن بقائه مفترق طرق ، لما وطئته قدم أجنبية ، وعاش بمنجاة من الحرب والفتح . لكن هذه البقعة من المعمور — العالم العربي — لم تكن ميداناً للصراع العسكري فقط ، بل كانت ولما تزل ميداناً تتصارع فيه الحضارات . والقوى العسكرية التي تتصادم وتتطاحن قد تدول وتتوارى ، لكن أثر الحضارات يترسب في أعماق النفوس وتتوارثه الأجيال ولن يمسي . ويستطيع الجيل الجديد الواعي المثقف في العالم العربي أن يماجد غيره من شعوب الأرض قاطبة ، لأن بلدانه كانت بمنابة سراج صبت فيه الحضارات القديمة ، التي رأت النور على شاطئ المتوسط ، زيوت اختباراتهما وتجاربهما ، وثمره تفكيرها ، وحتى خيالها وآلامها . ولئن اشتهر الشرق بالجمود ، والمحافظة على قدسية الأرض الذي خلفته الأجيال الغابرة ، فالعالم العربي ، وهو جزء من هذا الشرق ، يتميز بالقلق والتلون وقابلية التكيف والقدرة على التمثل . ولئن احتدم الصراع بين فئاته ، وتباينت آراؤها . واختلفت مذاهبها الفكرية ، فذلك دليل على الحيوية ، وغنى التراث المتراكم — من قديم وحديث — والإرادة المتحفزة المتوثبة التي تبغي الأُحاطة بكل شيء . ولا بدَّ في السياق الطويل من أن يعقب هذا الصراع سلامٌ تنصرف فيه النفوس للإستمتاع بثمره الحضارات .

إن الحضارة الغربية الراهنة ليست إلاَّ درجة في السلم المؤدي إلى الحضارة الانسانية الشاملة . ويستحيل على أي كان أن ينسبها لشعب من الشعوب ، أو أمة من الأمم . ذلك لأن هذه الحضارة قد نمت وعمقت وتفرعت حتى تعذرت علينا الاُحاطة بها وفهمها وتمثلها ، فهي قد امتصت مادية جميع الحضارات التي غبرت ونشأت عن مساهمة أمم شتى ، وغمرت أمواجها بدون نزاع مشارق الأرض ومغاربها . وتأتي للحضارة المعاصرة من الظروف الملائمة

اسمة الانتشار، ما لم يتأتَّ الحضارة سلفت . ولا يمود الفضل في انتشارها إلى سرعة المواصلات فقط، وأساليب الإذاعة الحديثة التي انبثقت عنها، كالطباعة على أنواعها والسينما والراديو، بل إلى الطابع البشري الذي انسمت به، أما الحضارات القديمة فيمكننا، إذا ما استعرضناها أن زدها إلى الشعوب التي تمخَّضت بها، وتبين طابع الأمة التي ربَّبتها، ولم تكن تلك الحضارات الشهيرة، سواء منها التي ظهرت في سوريا، أو في مصر، أو في العراق، خاصة بهاتيك الأمم فقط، بل كانت ثمارها وفقاً على فئة خاصة من الأمة، ولذلك بات النصيب الانساني فيها ضئيلاً هزيلًا لا يؤبه له. وإلى هذا، لا إلى غيره، نعزي سبب أفليمية تلك الحضارات، وركود نشاطها عند تخوم البلاد التي ظهرت ونشأت فيها، ولا بد من أن يكون قد رشح منها شيء إلى الأقاليم المتاخمة، المستعدة لتقبل ألوان تلك الحضارة، المتشابهة إلى حدٍّ ما في الصفات العرفية المستمرة، وطبيعة الأقليم، وتكوين الأرض، ونظم الحياة الاجتماعية والعقائد الدينية. أما الأصقاع البعيدة فقد استحالت عليها أن تتأثر بها وتغمرها أمواجها. وللسبب عينه نرى شعوباً قديمة بلغت درجة عظيمة من الحضارة البشرية، بينما ظلَّ غيرها يتسكع في ظلام الجهل والغباوة. ومن السخرية المؤلمة أن يتخذ البعض هذا السبق سبباً للتمجد والمباهاة. ولو عقلوا لفقها أن الأمم كالأفراد لا تولد جميعها في عام واحد أو في قرن واحد، بل لا بدَّ لها من أن تمر في أطوار الحياة الرئيسية الثلاثة من ولادة فشباب فهرم. وأن هناك أمماً قد شبَّت باكراً وأخرى قد شبَّت متأخرة. وإننا لا نستطيع أن نتبين العلل التي أدَّت إلى النهوض الباكر، أو التي أخرت الظهور وعاقبت النمو. وأكثر الحضارات القديمة لم تبرح موطنها الأصلي وتنتشر إلاَّ عندما كانت تكفلها قوة عسكرية يكتب لها الفوز في الحرب. فالاسكندر حمل إلى سوريا ومصر الحضارة الاغريقية، وطلع العرب على العالم من جزيرتهم بدين جديد تدعمه قوة عسكرية لا يستهان بها.

أما الحضارة الغربية الحديثة فانها استطاعت أن تنتشر في الأمصار القريبة والبعيدة، وتغزو العقول والقلوب، وتطور المجتمعات التي تنسرب إليها، معتمدة في ذلك على أساليب الإذاعة التي ابتكرتها الصناعة الحديثة من صحافة ومؤلفات ومواصلات لاصلاحية وصينية.

ومن أبرز خصائص السينما أنها عملت على نشر ألوان المعيشة ومظاهر الحياة وتنوع الأزياء واختلاف الألسنة وفنون الأعمال والعمران. وعمدت إلى الماضي فبعثت أهليه بسجنهم وأساليب حياتهم وطرق معيشتهم وشكل منازلهم وغربت وشرقت بهم.

ولقد قدّر لشرق العربي أن يتصل بالغرب منذ أوائل القرن التاسع عشر. لكن هذا الاتصال كان قصير الأجل، محدود الأثر، وسبب ذلك يعود إلى البيئة المتأخرة التي كانت تحيا فيها أمم العالم العربي إبان حملة نابليون إلى الشرق، وإلى الذهنية التي كانت تسيطر تلك الأمم في مضمار الحياة، والعين التي كانت تنظر بها إلى الحياة والكون، والقيم التي كانت تعتبرها وتجلها. ولم يثمر هذا الاتصال في إبانة في مصر، ولم يكن له صدئ بعيداً في أرجاء العالم العربي، لندرة الرؤوس المفكرة التي تدرك ما تريد، وتعرف ما لا تريد، وعدم وجود زعماء حقيقيين يرون الزمامة وسيلة لإجراء الإصلاح الشامل لا واسطة للاستبداد والتعسف وابتزاز الأموال. فهو لاء لا غيرهم، يمكنهم أن يسوقوا الشعب سوقاً إلى مناهل العلم وحياض المعرفة ويطلقوا في الوطن تيارات جديدة. وهل هذا القول أكثر ما ينطبق على محمد علي، ذلك الرجل الواعي المصلح.

ومن شأن الحضارات عندما تتلاقى أنها تتفاعل وتتناحر وتتصارع وتختلف حدة الصراع باختلاف الأمم ومقدار تفتحها وقابليتها للتكيف والاقتباس، أو انكماشها وانطوائها على ذاتها، والشبه بين الحضارات. وما يزيد في الصراع أن الأكثرية الساحقة في كل أمة تعيش بمعزل عن نور العصر الذي تحيا فيه، محافظة على نظرات فاسدة إلى الكون والحياة لا تتخلى عنها، ولا تفقه معنى التطور وضرورته بغية الاستمرار في الوجود وكرامة الوجود. وإن هذا الصراع ما زال ناشياً على أشده في العالم العربي منذ مطلع هذا القرن. ومرد هذا الصراع إلى صفة العالمية والشمول التي تتصف بها الحضارة الغربية العصرية. فبئتنا لا مفر لنا من الانصياع للواقع والاقبال على خير ما في هذه الحضارة من خير يرجى. إذ يستحيل علينا أن نضع أنفسنا في مقام، ونغمض العين، ونصم الآذان، كل ذلك كي نتجاهل عمداً التيارات الحضارية التي انماقت فعمت الأرض بأسرها. ولا بد لنا من أن نمضي جادين في الاقتباس عن الغرب الأوروبي والغرب الأميركي، ومن الخطأ القول أن الاقتباس يفقدنا

مميزاتنا الذاتية وخصائصنا القومية ويديننا في بوتقة الحضارة الغربية . إذ ما من قوة ، مطلقاً ، تستطيع أن تجعل من الانسان كائناً جديداً غريباً عن خصائصه الأصلية العريقة ، الذاتية منها والعرقية ، لأن المرء لا يقوى أن ينجو من مؤثرات المجتمع الذي هو في أحضانه ، والبيئة التي يقطنها .

ومن مميزات الشعوب المتأخرة ، المتخلفة في مضمار الحضارة ، أن لا تكثر بالحضارة ولا تعيرها اهتماماً ، ولا تعلق آمالاً كبيراً على الغد ، بل تسمر أنظارتها في الماضي ، مؤمنة بصلاحيه وفساد الحاضر . وتعتقد أن ما من فكر حديث إلا راود أذهان الأجداد ، وما من مخترع في العصر الحاضر إلا علقته به جذور تمتد الى الماضي السحيق الذي نجمله . فما طجت إلا من مرة بالغرب وحضارته والخصائص الانسانية التي تتميز بها ، والفوائد الجملة التي نجمت عنها واستفادت البشرية منها في شؤون عيشها وحياتها ، إلا صمغنا من يتصدى قائلاً : إن الغرب مدين للشرق ، ولولا الشرق لما كان الغرب ، وزاه في العصر الحاضر يسد الديون التي اقترضها عند ما كان لا يزال في أول الشوط . وان هذه المدنية الغربية ، التي لا تنسب الى شعب معين أو الى سلالة معينة ، لم تنبت في أوروبا وأميركا على نحو ما تنبت الكفاة والفطر ، بل ان بذورها جنيء بها من الشرق ، سواء كانت روحانية أو مادية . ولئن يكن الشرق مهداً لحضارات قديمة متعددة ، فليس من المقرر الثابت أن الحضارة الغربية ابنة صحيحة لها تيك الحضارات أو امتداد لها . فكما أننا نجمل جهلاً تاماً جميع الطبقات الأرضية التي تحتازها قطرة الماء حتى تخرج من النبع ، فكذلك يستحيل علينا أن نعين كافة العوامل ، التي ساهمت وساعدت على نمو الحضارة الغربية وازدهارها .

وها هي ذي الحضارة الاسلامية - العربية بين يدينا ، فهل نقدر أن نعين كياً مبلغ ما أخذت وما أعطت ؟ وهل حدث لامة أن نهضت دون أن تتوكلأ على تراث غيرها من الأمم ، وتستغله أعظم استقلال ، وتتخذ أساساً تشيد عليه صرح حضارتها ؟ ومن الغريب أن يعتمد الغرب الى جميع الحضارات القديمة ، ويقتبسها وينميها ويتمثلها وينشرها ، خالفاً عنها رداءها الأصلي ، ساكباً فيها من روحه وتقاليده وعاداته ، بينما أظهر الشرق عجزه عن الاستفادة مما يوجد بين يديه . ولعل مرد ذلك الى طبيعة الشعوب الشرقية القديمة التي اعتادت أن تحيط

العلم بهالة من الأجلال والقداسة ولا اعتبار، وطبيعة الغربيين الذين يعتبرون العلم مجرد وسيلة وأنه وجد لخدمة الانسان واسعاده ولذته. إنهم أنزلوه من رجه العاجي الذي صجته فيه الشرقيون ولغيري أن يصوب سهام النقد العنيف إلى الغرب لأمعانه في المادية. هذه المادية التي تتجلى في الحروب والنزعات الاستعمارية، والكدح في سبيل المال، والايثار المطلق للعلم وقدرته على تفهم أسرار الحياة والكون. مع العلم أن ينابيع الحضارة الغربية نرة صافية عذبة. ويستحيل على المياه أن تظل صالحة نقية من منبعها حتى مصبها. فإنها لا تقوى على دفع الاجسام الغريبة التي تلقى فيها وتعكر صفاءها وتفسدها وتجمها غير صالحة. أما أنا فاني أومن إيماناً لا يعتوره شك في ان العالم العربي ما اتصل مرة بالغرب إلا ونشأ عن هذا الاتصال والاحتكاك والاقتباس عصر ذهبي ونهضة جبارة في جميع نواحي الحياة وأبواب المعارف. وشاهدي على ذلك المساهمة الحقيقية من قبل سوريا ومصر في الثقافتين العظيمتين الخالدتين الأغريقية والرومانية. فقد عرفت كل من سوريا ومصر تينك الثقافتين وأثرت فيهما وتأثرت بهما، وأخذت منهما وأعطتهما. ولا يزال العصر العباسي قريب العهد منا، وان كان الاتصال تم يومئذ عن طريق غير مباشرة. فلا يجوز أن نقول عن العصر العباسي إنه امتداد طبيعي للعصر الأموي. وليس مرد ذلك الى النظم السياسية وألوان الترف التي صادت المجتمع يومئذ، بل الى غزارة المعارف ولونها ونوعها التي صبغت في المجتمع العباسي. لقد كان العصر الأموي يتسم بالعنصرية الشديدة المغالية. ولم تكن العنصرية في يوم من الأيام إلا ضيقة منكشة، تؤثر العزلة، بدافع من الأنفة، على الاتصال وما ينشأ عنه من أخذ وعطاء. لقد كان للعصر العباسي نوافذ تطل على الجهات الأربع، فيتشقق النسمات التي تهب من الفرس والهند وبلاد الأغرقي. ولعل أقوى النسمات وأكثرها شدة تلك التي هبت عليه من الديار الغربية، تلك التي تفاعلت مع الحضارة الأغريقية. ولهذا جاء نتاجه غزيراً متنوعاً ملوناً. ويني أن الشعوب الاسلامية والعربية لو لم تستنكف بدافع ديني وعنصري في أن واحد عن اقتباس اللغة اليونانية، لكان لثرائنا القديم شأن يختلف كل الاختلاف عن شأنه الراهن. وانهم أخطأوا وأظهروا كسلاً منبثقاً عن العقيدة الدينية عند ما اقتنعوا بالترجمات - ويغلب عليها السقم والإيجاز والهوى - التي كانت تقوم بها الافليات الدينية التي

ظلت تعيش في البيئة الإسلامية . ومن المؤكد والمعقول أن أولئك المصريين لم يسبروا غور الثقافة الاغريقية ، وأن تلك الترجمات لم تتناول إلاّ الامور التي كانت تشتد إليها رغبة الجماهير من علماء الكلام ، لاذب عن عقيدتهم في بيئة صاحبة زاخرة بالمذاهب والعقائد والآراء التي اعتمدت البحث والجدل .

ولقد تنوّعت الاسباب التي حدثت بأبناء العالم العربي كي يقفوا من الحضارة الغربية موقف الحذر المتردد المتحفظ . فطلق الكثيرون يندّدون بهذه الحضارة ، ويلصقون بها التهمة تلو التهمة ، ويعتبرونها مفسدة للأخلاق ، هدامة للتقاليد المتوارثة ، نزاعة إلى الانحلال والاباحية ، عاملة على الانحلال الاجتماعي . ويحمل بنا ، حسب رأيهم ، أن نبني حول أقطارنا أسواراً ننتقي بها الشرور التي تحاول أن تندفق علينا من الغرب . ففي ترائنا القديم عنها غنى ، وفيه زاد وكفاية . وكما صلح هذا التراث في الماضي ، فلم لا يعود يصلح في العصر الحاضر ؟

وسبب هذه الحملة التي يشنها الجامدون الذين آلوا على أنفسهم أن لا يتقدموا قيد شعرة منذ نصف قرن في مضمار الفكر والرأي ، والذين لا يرون ضرورة في التطور ، ولا يفقهون ناموسه الفاعل فينا رغمنا عنا ، هي الفروق العقيدية السائدة بين أبنائه والغربيين أولاً ، وإلى الظروف والملابسات التي أدت الى الانصال بالغرب .

إن تعرفنا إلى الحضارة الغربية لم يحصل بواسطة التطور البطيء في العلاقات والاحتكاك والتفاعل ، بل إن هذه الحضارة بكامل جهازها وتقادم عهدها ، وعظيم أسرارها . وغنى تراثها ، قد جاءتنا في إثر الحملات العسكرية الاستعمارية التي كانت تستهدف الشرق العربي . وهذه المفاجأة أحدثت في أمم بلبلة وتشويشاً ، لأن هذه الأمم لم تكن على استعداد تام لتحتضن وتمثل حضارة ساهمت فيها أمم شتى طيلة عصور . ولم يدعنا الغربيون وشأننا ، ولم يعترفوا أن لنا خياراً في الأمر ، بل أطلقوا في مجتمعاتنا تيارات حضاراتهم وأذاعوا مبادئ مدنياتهم ، ونسقوا ما لدينا من نظم وتقاليد ، وأحلّوا مكانها نظماً حديثة لم نستنبط حرفاً واحداً منها ، ولم نفصل تماماً للبيئة التي نقطنها ، والروحانية التي نعنتقها . ومن مميزات الشعوب المغلوبة على أمرها ، أن تنهال أداة طيّسة في يد الغالب ، لينة كالعجينة . ينشئ

منها الصورة التي يشاء . وهذا السلوك لا ينافي حقيقة الجماعات البشرية لدن اختلاطها بعد حروب . فالغالب يسعى لبوطد ويتمتع بالسيطرة التي ينبثق منها البناء أو التراب ، انتدم أو الانحطاط ، تبعاً للرسالة التي ينوي أن يؤديها ، وتبعاً لاختلاف الأفراد الذين توكل إليهم تأدية هذه الرسالة ، ونصيبهم من المثل العليا والانسانية . ومما أثار حفيظة المحافظين هو انتشار الحضارة في أرجاء العالم العربي وتغلغلها في جميع نواحي حياتنا . فظهرت آثارها بارزة في العمران ، وأصاليب المعيشة ، والأزياء والمشارب ، ومرافق الحياة ، وفنون التفكير والاجتماع والاقتصاد والسياسة . وما معركة الأدب الجديد والأدب القديم إلا نتيجة متوقعة طبيعية نشأت عن تصادم الثقافتين . وإن اندحار تراثنا أمام الحضارة الغربية ولّد في القلوب شكوكاً وسوء ظن في صلاح هذا التراث لمقتضيات الحياة العظيمة . وصوف لا أحتي فيما يأتي إلاّ ببحث التطور الذي انتاب حياتنا الفكرية ، والتبديل الذي طرأ على مفاهيمنا في تقدير القيم والمثل ، وأحدث تغييراً كبيراً في نظرتنا الى الحياة والكون .

ماهي الأسباب التي أدّت إلى انقلاب في مفاهيمنا للقيم والمثل ، ونظرتنا للكون والحياة ؟ إن السبب الوحيد الذي أحدث هذا الانقلاب هو الثقافة الغربية . فقد انصبت علينا هذه الثقافة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ولما تزل تتدفق . فأتيح لنا أن نتصل بهذه الثقافة مباشرة ، ونسردّها من مناهلها ، ونتعرّف إلى أسرار تلك الحضارة ، والينابيع التي استقت منها ، وفقهنا علة النهضات في الغرب على اختلافها ، والانقلابات التي حدثت في صائر ميادين الحياة . لقد علمنا أن الغربي بدأ أولاً يتحرر من القوى الخارجية التي كانت تهيمن على شؤون حياته ، كالكنيسة ، والدولة الأوتوقراطية ، ومن النظريات الاعتباطية التي يكون الجهل سداها والخوف لحتها . والفضل في هذه البقعة التي راودت أحفاده ، يعود إلى أحياء الثقافة الإغريقية وافتباسها وتمثلها . وتمكّننا من الاطلاع على مرابي المبادئ الديمقراطية ونشوءها في أوروبا الغربية خلال القرنين السابع عشر ، والثامن عشر ، التي أحدثت النورة الانجليزية عام ١٦٦٨ ، وتمت الغلبة فيها للنظم الدستورية على الامتيازات المملكية ، وتكشفت لنا النورة الأميركية التي نشبت عام ١٧٧٦ . ولم تكن تستهدف الاستقلال السياسي فقط ، بل كانت تتوخى اقرار المساواة في الحقوق والواجبات . وفي عام ١٧٨٩ أخضرت

نيران الثورة الفرنسية ، ولعلمها أعظم الأحداث طراً ، التي تمخضت عن حقوق الانسان والافانيم الثلاثة « المساواة ، الحرية ، والاخاء » . وما من انقلاب سياسي أو اجتماعي أو غايي حدث عفواً ، بل مهد له أشخاص وقرنا بأسمائهم . فلا تذكر الثورات السياسية حتى يتبادر إلى الذهن اسم كرومويل وواشنطن ، وفولتير ، وروسو ... والأحداث الاجتماعية والاقتصادية مدينة لسان سيمون ، وبرودون ، وماركس ... والثورة على الكنيسة تذكرنا بلوتيروس وكالفن ... والانقلاب في النظرية العلمية تم بفضل جاليليو وكوبرنيكوس ونيوتن ودارون وياستور ...

ظللنا قرونًا تلو قرون ، ونحن نردد مع يسوع « لتكن مشيئتك » ونؤمن مع محمد أن « لا غالب إلا الله » . إن هذا الاسراف في الإيمان بالقضاء والقدر ، انتزع من نفوسنا مبدأ المسؤولية وحرية المصير ، وقادنا إلى الاعتقاد إن الانسان لا تترتب عليه مسؤولية ماضي هذه الدنيا . بل انه مجرد أداة تتلاعب بها يد جبارة تدعى القدر ، هذا الحصن الحصين من العقيدة التي تمخضت عنها الكتب المنزلة ، وقدست أجيالاً ، انهارت انهياراً يكاد يكون تاماً لدى أول اصطدام بالثقافة الغربية . وأخذ العالم العربي يعيد النظر في كل ما توارثه مجتمعه من أنظمة زمنية وعقائد روحانية . لقد آمن أن الله علة كل شيء في الكون . وبما أن الله علة كل أمر ، فباتت جميع قضايا الحياة موصومة بمشيئته ، ولا حول للانسان في تبديلها أو تعديلها . أما اليوم فقد بدأ يعتقد أن الجمعية البشرية ، لا الله ، وما صنعه من نظم جائرة ، وأورثت من تقاليد وعادات ومساوئ ومفاسد ، مسؤولية عن نتائج هذا الميراث . فليس الفقر الذي يجعل الحياة جحيماً لا يطاق آفة ربانية ، بل هو خلل أخلاقي واجتماعي واقتصادي وسياسي . وليست الطبقات نظاماً أزلياً ، ثابتاً كالطود ، مقدساً كالنামوس ، وليست الاوثان الاجتماعية أرباباً . فالطبقات غير مستقرة ، وهي كالموج لا تنفك تعلو وتهبط تبعاً للعوامل والأحداث والانقلابات التي تنتاب الأمم والشعوب . فنشأ من هذا الاعتقاد ان من حق الانسان أن لا يقف مكتوف اليدين أزاء المساوئ العالقة بالمجتمع البشري . فكما أنه استطاع أن يحرر الطب من الكهانة ، وينزع غشاء الخرافة عن الامراض ، كذلك طفق يفضل ويميز بين المشيئة الربانية والمساوئ الاجتماعية التي صيبتها الانسان . إن هذا المبدأ الذي تسرب إلى

العالم العربي وغزا عقول أبنائه ، وبات عقيده راسخة ، هو أعظم حادث في تاريخ هذه البلدان منذ أن أفلعت عن عبادة الأصنام ، وخصت الله وحده بالايان والعبادة . ولهذا لا نعدم من يقول إن الغرب زرع معتقدا ديني وزرع الكفر في قلوب شبابنا ، ونسق التقاليد الجميلة التي صار عليها آباؤنا وأجدادنا . والحقيقة أن هذه الحرية الفكرية التي يمتاز بها الجيل الناهض ليست ثمرة الأحاد والكفر بالله والمذل العليا ، بل هي وليدة الثقافة الحرة الشاملة العميقة التي تنمي في الفرد شخصيته الانسانية ، وتجعله يتجلى ويتحرر من العقلية الرجعية المسيطرة على مجتمعه ، ويخضع الكثير من حوادث الكون ومظاهر الحياة إلى العقل والمنطق .

خضعنا طويلاً وبكل طيبة خاطر للنظام الاوتوقراطي الاجنبي الذي اعتمد الاساليب الاولغاركية كي تضمن له البقاء والقوة . ولم نثر يوماً لنقلب نظام الحكم ونصلحه وزيل مساوئه ومفاسده ، بل ثرنا مراراً عديدة على الأشخاص في سبيل أشخاص لا ينشدون سوى المنصب والجاه . وظللنا نؤمن ، إلى أن اتصلنا بالغرب ، ان السلطة تهبط من السماء ولا ترقى من الأرض . ولهذا لما تبرح ألسنتنا تلك تعابير الذل والهوان والجهل التي خلقها العهد العثماني : الطريق للسلطان والماء للسلطان والأرض للسلطان . لهذا الضرب من الحكم خضع الشرق العربي أجيالاً ، لا جهلاً منه بمبدأ الدولة ، بل لأن قروناً طويلة من الجهل والظلم والفوضى ، ثلاثة أقاليم تذكر ما ذكرت السلطنة العثمانية تلك الدولة « العلية » ، قد أرهقته وأمانت مواهبه وخنقت نشاطه

وكما استطاعت الثقافة الغربية أن تنمي الشخصية الانسانية في الفرد ، وتنبهه وترشده إلى الحقوق التي خصته بها الحياة وتدفعه دفعاً لنيلها ، فانها قد أيقظت في النفوس الروح القومية ونشرت النزعة الوطنية . فهل أتيح لشعوب العالم العربي ، فيما خلا من العصور ، أن تشعر بهذا الشعور وتفكر هذا التفكير ؟ . لقد خاض ألوف من السوريين ضمار الحرب العالمية الأولى إلى جانب الترك العثمانيين ، وهم يعتقدون انهم لا يحاربون إلا في سبيل قضية مشتركة وهدف واحد : مصلحة السلطنة العثمانية وتثبيت دعائمها . ولم تمض إلا سنوات فلان على انتهاء الحرب حتى اجتاحت سوريا الشمالية ثورة ترمي إلى طرد الاجنبي واجلاءه

عن البلاد ، ولئن كان نصيب تلك الثورة الفشل من الناحية العسكرية الصرفة ، لكنها عملت على إخماء الشعور القومي .

إننا بلغنا المرحلة التي بلغها الشعب الفرنسي قبيل عام ١٧٨٩ . ويساورنا الآن ما كان يساوره يومئذ من رغبة في الإصلاح يشمل شؤون الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، ونقمة على النظام الأوليغاركي المستفحل في أقطارنا على أراخين السياسة الذين جعلوها عملاً متوازناً خاصاً بهم محتكراً في أسرهم . إن الطبقة الشعبية في العالم العربي بدأت تستيقظ من سبات طال أمده وتتعرف إلى حقوقها في الحياة . ويتساءل أولئك الذين يرومون انهراض الشعب ويرغبون في الإصلاح الاجتماعي كما تسأل « سيديس » : « ما هو الشعب ؟ - إنه كل شيء - وأي شأن كان له في النظام السياسي ؟ - لا شيء ؟ - ماذا يبتغي ؟ - أن يصبح شيئاً ذا قيمة » هذه الفكرة التي نشرت شرعها في العالم العربي هي بادرة التحرر من جميع الكوابيس وألوان الطغيان والظلم التي اتصفت بها القرون المنصرمة .

ورب قائل يقول : وهل النظم الاجتماعية الحديثة التي انبثقت عن الحزبية خير من الأوتوقراطية التي ودعناها منذ أمد قصير ؟ لقد كان الملك يعد نفسه مسؤولاً أمام الله عن أعماله ، وليس للشعب أن يتناول محاسبته ، أما الزعيم الحديث الذي تخضع عنه الحزب الذي يمثل إرادة الجماعة ، فمن ذا الذي تحدّثه نفسه في محاسبته أو خلعه ؟

بما لا مشاحة فيه أن الأحزاب السياسية ظاهرة جديدة في مجتمعنا الحديث . وهي من جملة الأساليب التي تسربت إلينا من الغرب . فهي تقوم على تكتملات من صائر طبقات الأمة وتستند على مبادئ تستهدف خير المجموع وترمي إلى إصلاح حياة الأمة من جميع نواحيها وهي ما أنشئت إلا لتقضي على تلك التكمّلات التي يزخر بها العالم العربي ، والتي تتغذى وتستمرى من اعتبارات طبقية أقطاعية بالية ، ونظرات طائفية متحذرة من الحذر والدعوى والمقت والتكتملات الطائفية هي بمنابة دائرة مغلقة لا يتفاعل فيها تفاعلاً مطلقاً حرّاً إلا أفراد تلك الطائفة . وسوف تكون هذه الظاهرة حادثة فذة في تاريخنا الحديث وصيباً من أعظم الأسباب التي تساعد على تطور الحياة في أرجاء العالم العربي . لقد تم ذلك إذا أطلقنا في أقطارنا تيارات المبادئ الصالحة السامية التي تتيح للإنسانية الكامنة في كل بشري أن

تفتتح وتتألف وتنمو وفق ميولها وزعاتها، لا التي تحارب النزعات الانسانية الصميمة كحرية العبادة، وحرية العمل، وحرية الوجود، وتضحي بهذه المثل، التي لا يسمو الانسان إلا بها، لقاء هدف اقتصادي أو سياسي. والحزب بمعناه البعيد العميق مناواة لأحكام القدر. هو سلم يرقى عليه من لم يقدر له أن يولد في مهد النعيم ويرث الأجداد والامتيازات. وإننا لا نزال ننظر بامتعاض الى التكتلات الحزبية الحديثة، ذلك لأنها أكثر مما تتألف ممن ينشدون العدل الاجتماعي وإزالة المساوئ والغبن، ولا نزال متأثرين بإرث الأجيال الغابرة التي حفلت بالتكتلات التي لم تستهدف سوى اغتيال القائم على شؤون الحكم واستلام المقاليد من يده وممارسة الأعمال التي يمارسها دون إحداث أي تغيير في الجوهر.

ولست الغرابة أن تتأثر المرأة بموجة التطور، بل الغرابة أن تبقى بمنحاة من هذا التأثير والاتصال والاحتكاك. فلقد أتاح لها الاطلاع على الحركات النسائية في العالم، ولكنها العلم الذي انتشر على درجاته، ونشوء الصناعة الحديثة وازدهار التجارة وتنوعها، أن تعمل وتكسب وتستقل اقتصادياً. كل هذه العوامل حدثت بالمرأة أن تطالب بالإعتراف من رتبة التقاليد لتعيش في مساواة تامة مع الرجل. ولكي تبلغ هذه الأهداف لم تجد بداً من التكتل والتعاون وإنشاء المنظمات النسائية بغية نقل حقوق طبيعيتها قد سلمها إياها المجتمع البشري، وبلوغ إمتيازات خص بها الرجل من دونها وما فتئ يتمتع بها منذ أزمنة طويلة متغلغلة في القدم. فهل تستطيع المرأة أن تتغلب على سلطان التقاليد التي اعتبرت الرجل متفوقاً عليها في كل شيء؟ وهل تستطيع أن تتملص من وطأه النصوص الدينية التي حرمتها المساواة الحقوقية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي قضت عليها باعتزال المجتمعات والتعجب؟ إن العامل الاجتماعي المتوارث والوازع الديني، قد ولدا في قلب المرأة التي تعيش في بيئةنا شعوراً دفيناً إنها دون الرجل، وثبطا هممتها كي لا تطمح الى ما يطمح، وإنها لن تبلغ من الكمال ما يبلغ لأنها لم تؤت من المواهب ما أوتي. فوقر في ذهنها أنها خلقت لتسير في ركابه، لا لتكون له نداً، وأن تقوم على خدمته لا لتعاوننا في مضمار الحياة. ففقدت بهذا المأخذ ولم تحضر الثورة يوماً بإياها. وإذ انار الخيال وزير الخيال لم يزل

ثورة للنساء على الإطلاق . وليست العبرة في الحوادث الفردية المتقطعة الفورية التي تحمل طابع التمرد والغضب أكثر مما تنقسم بميسم الثورة على أوضاع لا ترضي ونشيدان أهداف تخلق الحياة خلقاً جديداً .

لا يزال الكثيرون يعتقدون أن المرأة الصالحة الفاضلة هي التي تلوذ ببيتها ولا تبرحه مطلقاً ، وتتجنب عن الرجل كي لا تنلم عفتها ونقاوتها ، وتجهل كل شيء . وقديماً وجد على قبر امرأة رومانية : « غزلت الصوف ولزمت بيتها » . لئن كان هذا الضرب من الحياة هدف المجتمعات القديمة أو المتأخرة ، فلم تعد هذه المبادئ السلوكية تصلح أن تكون أساساً نقيم عليه صرح حياتنا العائلية . فالمرأة المثل في الوقت الحاضر ليست تلك التي تطفئ فيها عناصر الأنوثة على عناصر المرأة ، وليس الفخر أن تجهل ما جل ودق من شؤون الحياة وأسرار الكون ، وليست تلك التي تعش عبثاً على ذويها وزوجها ، بل تلك التي لا تفيدنا الأنوثة إلا لتؤكد خصائصها وتبقيها متميزة عن الرجل في كثير من الأمور ، والتي تسعى لكسب المعرفة وتحصيل العلوم وتذوق الفنون على اختلاف أنواعها . وسوف تشتد الحاجة إلى المرأة بمقدار ما تتطور امكانياتنا الاقتصادية وأحوالنا السياسية والاجتماعية . ثم إن الآلة قد عدت على المرأة وزاحمتها وبزتها فيما اختص بها من الأعمال من كساء ومأكل ومشرب . فأصبح لا مفر للمرأة من أن تخرج إلى الحياة لتقضي على السأم الذي ينتابها ، وتتعرف العالم الذي عرفته في الكتب .

هذا هو الصراع العنيف الذي شرعت به المرأة في العالم العربي منذ مطلع هذا القرن . وبقيني أن المصلحين في بلادنا سوف يتساءلون عما إذا كانت المحافظة على وضع متوارث وعقائد متوارثة ، قضت بالتفاوت الاجتماعي بين الجنسين ، لا تؤخر نشوء المجتمع الأمثل . فهل يكتب النصر للرجل تمصده تقاليد وشرائع مقدسة وتفوق جثماني ، أم يكتب الفوز للمرأة ولا سلاح لديها سوى فتنة خالدة ، وإيمان مطلق بالحق ، وكفاءة مغمورة لو انطلقت من عقالها لقلبت أسس الحياة كلها وغيرت وجه التاريخ ؟ !! .

تلمس في الظلام

روعة في الظلام تقري فؤادي
خاطرات فاض الجلال بجنبيها
أشأم الركب واثقاً بهداه
أيها الكوكب البعيد أفض لي
كم ملايين عالم قد تلاشى
يا ترى هل درى بأني صاقي
أم درى انني أضيع أهدافي
تهت واضيعتي فذي السحب
أشقي يا نجوم فالقلب حيران
خلص الحى تحت موج غطيط
أنا النائم المجد بأحلامي
أنزت خمرة الحمى ثورة الحق
أنا في باطلاي استرحت فلا لاح
واذا كنت في نعيم من الأحلام
أنا في جنة بوحى خمار
شيدتها خواطر باسمات
ركبت سفرتي مهامه يهماء
ويل قلبي تبددت بسيمات
أنعب القلب باجتراء المآسى
رب موج قد خضنته بادي الأهوال
فتعاليت حاصفاً يملأ البحر
ثم إذ عدت صارخاً بالشواطي
ألقت روحى الظلام أنيساً
واحتست بالسكون ملوى
ذكريات تسمو لأعصر ماد
وصوت مجلجل الأرماد
ما قلبي يحد في أنجاد؟
بسناً خاض شاسع الأبعاد
وهو في سيره لهذي العباد
حين شق الأثير شطر بلادي؟
فقد جاء آخذاً بقيادي
قد وافى لتفتاله على ميعاد
وقد غشه غناء الحادي
وغزني الأحلام دون رقاد
أم الحى...؟ قد أضعت رشادي
فهل نافعى الغداة حيادي؟
ليوم الرشاد فجر هادي
فليذك محرقى ايقادي
الروح فليمس في الجحيم مهادي
ورست من تفاؤلي بعماد
وأضنى المطي طول السهاد
الروح إذ ريع صبرها بنقاد
وزماني يابى نفاذ الزاد
رب مرجع الأزباد
اضطراباً ولا يضام بعادي
ردد الصخر رهبة ارعادي
إذ أتى النور بالمساوى بادي
بأرواح تغنت سحرية الانشاد

وإذا الوحش قد أخاف فلم
 وألفت القبور إذ ميته الأرواح
 أيها الراحلون خلتكم العمران
 ولقد طفت والظلام بأكوام
 ته جلالاً فما أجلك وادي
 كم قبيل زاحته بقبيل
 (ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً
 أيها الراقدون هموا لعصر
 أو ما آن للقبور انبعاث
 غير أن الحياة عالم نقص
 أترعت كأصها زفافاً وشهداً
 لا تخانوا ابتسامها غير هزء
 عبراً للوعاة يتلو فم الدهر
 غير أن الحجاج من ضجة العيس
 هو ذا الله في الوجود تجلى
 في حياة النبات ، في عشش الطير
 قال قوم أنى تعود جسوم
 وهبوط النفوس للعالم السفلي
 غير أن الزهور تفتى ولكن مودعات البذور سر من السر (المعاد)
 وكذلك الأرواح تهبط للأرض ليكسى السكال (ذو استعداد) (١)
 إنما الصعب أن تسيرك الروح بعيداً عن غائل (الاتحاد)
 ربما راعه الوجود فهلاً رحموا منه صرخة الميلاد
 والذي حير العقول (وجود جوهرى مجرد) غير بادي

(بغداد)

ضياء الرضوي

(١) كما يرى فلاسفة الاملام وابن سينا في عينيه

الذي يج
 تقع الأز
 واجساد
 المظلمة ،
 البهيمية
 قطعة م
 وأرذلهم
 فكأنهم
 دنت على
 الجور و
 الجنة ،
 معركة أ
 وشراسة
 وفي
 أو لا ير
 التنبؤ ،
 يحدوها
 منها خا

أم من الجحيم

مرسيليا ، ذلك الميناء العظيم الذي يؤمه آلاف السياح والبحارة كل يوم ، ذلك الميناء الذي يجمع بين الفضيلة والرذيلة ، فبجانب كنائسه الأثرية ، ورجال الكهنوت الأتقياء ، تقع الأزقة المظلمة حيث تفرح الرذيلة في واد خصب مفعم بالغانيات اللواتي يبعن فلوسهن وأجسادهن ، حيث يشرب الهوى الرخيص ، وتباع الأفئدة والأجسام . ومن هذه الأزقة المظلمة ، زقاق النساء ، مُقْبِض كَثِيب فيه زمرة الساقطات ، وقد جذب إليه رواد الازفة البهيمية ، فتراهم بحاناته الصاخبة ، ودور اللهو المتناثرة على جانبيه ، كأنه مربع الشيطان ، أو قطعة من الجحيم . وفي منتصف ذلك الشارع يقوم منزل سكنته أسقط النساء أخلاقاً ، وأرذلن طباعاً ، وأبعدهن عن الانسانية صفات ، كما أنه أردأ المنازل بناءً ، وأوحشها مكاناً فكأنهما صنوان ، هي من ناحية الأخلاق ، وهو من ناحية البناء . إسمها « جورجيت » دنت على الأربعين ، ممتلئة الجسم متوسطة القامة ، تحمل في وجهها طابع جمال قديم أفسدته الخمر وحياسة اللهو والجون . ولتلك المرأة عشيق يدعى « جون » وهو بحار قديم ضخم الجثة ، فاسد النزعات ، ذري الهيئة ، ذا وجه متغضن قبيح ، طبعت فيه ندبة طويلة هي بقية معركة أصيب فيها بطعنة سكين ، وهو فوق ذلك من الرجال الذين اتخذوا من قوتهم وشراستهم سبيلاً للتسلط على النساء الساقطات وابتزاز المال منهن .

وفي الغرفة الوحيدة بذلك المنزل التي يمكن أن تكون سكناً لأدي ، أو مأوى لحى يرزق أولاً يرزق ، جلست جورجيت الى جانب عشيقها جون يتناجيان الغرام مع كؤوس من خمر التبيذ ، وتجول في ذهني كل منهما أفكار عتيقة ، طالما منى كل منهما نفسه بتحقيقها ، يحدوها اليأس لحظة ويدفع بهما الأمل أخرى . أمّا تلك الأحلام والخيالات فكانت لكل منهما خاصة بنفسه .

— لم هذا السكوت يا جورجيت .

— أفكر... لا... لا يا جون... ليس بيالي شيء .

— إذن ، فإذا أجبت لأراك كتمثال صامت ، أم هناك رجل آخر ؟

— كلاً يا جون — أقسم لك إنني لم أفكر في رجل سواك ولم يخطر بفكري إنسان غيرك
وهنا يميل جون إلى الورا في مقعده بارتياح ويتناول كأسه فيشر به حتى الثمالة ، ويمسح
شاربه الكسك بطرف كفه القذر .

— إليك مفاجأة صارة ، سوف نتزوج يا جورجيت .

— نتزوج ! أهول أم لعبت برأسك الأحمر ؟ .

— فضحك جون وانطلق يقول بصوته الأجلش ، كلاً لا تلعب برأسي الأحمر ، ولكن
جمالك الذي لعب بقلبي . قلبي الذي لم تتمكن مخلوقة سواك من الدنو منه ، فحسبك قد ملك
عليّ مشاعري وطار بلي ، لست هازلاً يا جورجيت — أتعلميني زوجاً .

— بالطبع يا جون . فإن نفسي لا تتوق إلى أكثر من هذا ولكن

— ولكن ماذا .

— لا بد لي من الذهاب إلى أمريكا .

— أمريكا ، وما علاقتك بأمريكا ، وقد ولدت وعشت في مرصيليا فلم تغادريها قط ؟

— إنك لا تعلم يا جون ، فهناك دافع قوي يرغمني على الرحيل في أقرب فرصة .

وعلى بعد خمسة آلاف ميل من مرصيليا ، جلست فتاة في هايد پارك بأمريكا تردد تلك
الكلمات « لا بد لي من الذهاب إلى مرصيليا » . وهي فتاة طويلة القامة ، ممشوقة القد هيفاء ،
ذات عينين زرقاوين فيهما سحر ودلال ، ولها شعر أصفر جميل مستمر فوق كتفها كأنه
خيوط من الذهب ، وفم كاليفوت إذا أفرغ أسنان كأنها اللؤلؤ ، ووجه باسم ضحوك
مليء بحرارة الشباب ، وبجانبيها جلس « ديك موريس » وهو فتى وسيم الطلعة ، مهذب
الأخلاق ، متقف راقى التعليم ، بسم له الحظ فجمع إلى الشباب والمال سعادة الحب وراحة
البال فهو « وتيريز » متحابان .

— أريد أن أرى مرصيليا يا ديك .

— لا مانع عندي يا عزيزتي تيريز ، فلنمض شهر العسل هناك .

— لا ياديك ، لقد أسأت الفهم ، إنني أريد أن أذهب إلى مرصيليا بمفردي قبل الزواج ،

لأن هناك أمراً هاماً يدعوني إلى ذلك .

— ولكنني ما ميمعتك يوماً نذكرين مرصيليا ، ولم أعهدك أبداً تتوقين للذهاب إليها .

— لقد علمت أشياء كثيرة بعد وفاة المرحوم والدي ، فإن والدتي يا ديك ما زالت

حيّة تزرق .

— ما زالت حية ، وتقيم بمرصيليا اكنا يعلم أنك يتيمة الام منذ فجر حياتك .

— هكذا كنت أعتقد ، ولكن ظهر لي من خطابات لوالدي إطلعت عليها بعد وفاته أن لي أمًّا ، أمًّا لا تزال على قيد الحياة ، وتعيش في مرسيليا ، فصممت على أن أرى تلك المخلوقة التي أوجدتني في الحياة . أراها يا ديك فأنعم بعطفها وحنانها وقد حرمت منها منذ طفولتي .

— ولكن ما السبب الذي دفع والدك إلى إخفاء تلك الحقيقة عنك .

— لست أدري ، وظني أن كان هناك خلاف شديد بين أبي وأمي دفعه إلى إخفاء أمرها عني وإبعادي عنها ، وقد ظهر لي ذلك من خطاباتهما وتوصلاتهما إلى والدي ، واسترحامهما بإياه ورجائها الحار الشديد أن تراني . أليس من واجبي بعد كل هذا يا ديك أن أراها ؟
— أتعلمين أين تسكن .

— نعم ، إنها تسكن المنزل رقم ١٦ ، بزقاق النساء بمرسيليا .

وفي المنزل رقم ١٦ جلست جورجيت بجانب عشيقتها يتبادلان الحديث .

— أما زلت مصرَّة على السفر لأمريكا .

— بكل تأكيد يا جون .

— إذن فلنتزوج أولاً ونرحل سوياً لتمضية شهر في ربوعها .

إرتسمت على وجه جورجيت أمارات الفرح والانشراح ، وارتمت بين يديه تقبله في حرارة وحنان .

— أحقًّا يا جون منصبح زوجين شرعيين ، ونقف أمام القسيس ، أنت بثوبك الأسود ، وأنا بثياب الزواج البيض ؟ . . . ثم تنحدر على خديها دمعة كبيرة .

— كفي هذا ، إذ هي فأتنا بالحرق والنبيذ لنشرب نخب زواجنا .

تقبله جورجيت وتهرع إلى الخارج لتشتري خمرًا ونبيذًا بينما ، ينتظرها جون مشغلاً سيجارته لاعتقاً شفتيه انتظاراً للخمر في لهفة ظاهرة .

— إنك تضحكيني . ما بالك تطرقني الباب ، أذاك من عادتك . . . ادخلي

تدخل تيريز فيبهولها منظر المنزل القذر وبشاعة الرجل الذي فزع من مكانه حال رؤيتها كأنه ذئب جائع أنقض على فريسته . فتراجعت تيريز إلى الوراء بخطى مرتبكة ، وقاب ملؤه الشبحون ، وأخذ صدرها يعلو ويهبط كأنه كير الحداد ينفخ بشدة ، وقالت لي في الزحام :

— أهذا منزل مدام جورجيت .

— «هاها ، وماذا تريدن من جورجيت ، تعاليني يافاتنتي» . واندفع نحوها مسرعاً قبل أن تولي منه وضمها بين ساعديه القويتين ، فضت تصرخ وتستنجد ، ولكن حملها ذلك الوحش الأدبي وألقى بها على السرير وارتمى الى جانبها محاولاً أسكتها .

— « أتركها ياوغد » — فالتفت جون فرأى جورجيت على عتبة الباب وبيدها زجاجة الحمر تهدد بها وتموعد وعيناها تشتعلان غضباً وغيرة . فقلبها يخفق بالندم والحسرة .

ترك جون تيريز وتحرك نحوها في هدوء وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة .
— أتحدثيني بهذه اللهجة يا عاهرة . ويرفع يده ويهم بلطمها فتهوي على رأسه بالزجاجة فتتحطم ويسيل منها الحمر مختلطاً بدمه . فيفقد الوعي وتجرح جورجيت الى الخارج وتوصد الباب ، ثم تعود الى الفتاة تريد افتراسها وتمنى لو عرقها إرباً إرباً ، فقد خيل اليها أنها عشيقه أخرى لجون ، وهالها أن تجرأ على زيارته في منزلها .

— وأنت أيتها الفاسقة . . ماذا تريدن ؟

— لا أريد شيئاً يا سيدتي ، لا تسيئي ظناً ، فقد أخطأت منزل مدام جورجيت .

— لم تخطئي ، فأنا مدام جورجيت وماذا تريدن من مدام جورجيت ؟

وتنطلق في قهقهة عالية فتدوي تلك الكلمات في أذني تيريز فنظرت الى المرأة بعينين يخال إليك أنهما تصلبتا ، وظلت كذلك برهة كأنها الدهر ، وارتمت على السرير ودفنت وجهها في الوصادة . وجسدها البض يرتجف من الانفعال ، وتمتمت بكلمات كالخبول . . .
أأي هذه العا . . . يا لتعاسي يا لشقائي . . .

— ميمتك تقولين أأي . . فابال والدتك .

— ويلاه . . . أنت أأي .

— « أنا أمك ! أنت تيريز ، حبيبتي تيريز ، تعالي يا بنيتي لاضمك وأقبلك ألف قبلة فأروي ظمئي ولوعتي من وجهك الفتان وعينيك الجميلتين . يا لها من حلاوة اللقاء بعد طول الحرمان » وتندفع نحوها فاتحة يديها لترتمي في حضنها فتدفعها تيريز باشمزاز واحتقار فتدرك جورجيت الحقيقة المرة المؤلمة ، وتذكر أنها طاهر من بنات الشيطان وإن تلك الفتاة البريئة الجاسة اليها تأنف من الانساب اليها وتحمّر خجلاً حتى من التذكير في أمومتها .
— يطرق الباب ، ويدخل ديك موريس ، ويتقدم الى تيريز ، مدهوشاً صائحاً . « تيريز ،

هل أصابك مكروه ، يا إلهي : ما هذه الغرفة ، ومن تكون المرأة ؟
— هي أمي يا ديك . وبلاؤه لقد تحطم مستقبلي وامرودت أيامي ، فلن أستطيع بعد أن
علمت تلك الحقيقة أن أقرن اسمي باسمك .

— دعينا من كل هذا يا تيريز ، ولا تكوني عنيدة ، فحي لك لا يقوم في صبيله شيء
— كلاً يا ديك فلن أرضى لك بهذا ، لقد كان المرحوم والذي محققاً في أبعادي عنها
ليتني ما رأيته وما علمت بمكانها .

— « أمات أبوك يا تيريز ؟ وتنظر الى ابنتها نظرة تنطوي عن أمر خطير .
— نعم ، رحمه الله .

— أما وقد مات فلا داعي لاستمراره في تمثيل هذا الدور ، وتحطيم حياتك ، فاطمني
يا صغيرتي ، فاني لم أكن لك أمّاً ولم يكن غرضي إلا ابتزاز المال من والدك .
— أحق ما تقولين ؟

— نعم ، أيتها الصغيرة ، كنت أعمل خادمة عند والدتك وألمت بالشقاق الذي كان
بينها وبين أبوك ، وبعد موتها اعتزمت الاستفادة من هذا الموقف مالياً . أما الآن فقد
انتهى دوري فاذهبي يا صغيرتي ، فان والدتك كانت امرأة من أشرف العائلات وأرفع من
أن تحيا هذه الحياة التي أحيها .

أنحدرت على خدي تيريز دموع الفرح وصاحت مهللة : أسمع يا ديك ؟ انها القصة .
ابتسم ديك وقبلها ولكن لم يحدده هذا التمثيل من جورجيت ، فان الشبه بين الأم
والابنة كان أقوى من أن يحتمل الشك . تقدم الخطيبان الى جورجيت لمصافحتها وفي عين
تيريز نظرات الفرح والانسراح ، وأما ديك فقد حدجها بنظرة كلها إعجاب وتقدير لتلك
التضحية النبيلة .

وفي الصباح ذهب ديك الى منزل جورجيت ليشكرها ويقدم لها مساعدة أو ليجت
لها عن عمل ، فوجد الباب جماعاً يتصايحون ، فتقدم من أحدهم سائلاً ، فيعلم أن جورجيت
الفاتنة قد انتحرت لأسباب لا يعلمها أحد . فيعود ديك متثاقلاً مطرفاً برأيه ويذكر أن
هذه المرأة الساقطة ، إنما كانت تحمل بين جنبتيها قلباً من ذهب .

محمد مهمل مظهر

عالم العين

شعر علمي

هي العين أعجوبة الخالق
تجمع شمل العوالم في
تلاقت بكوة أسنانها
بها تنصيد أقصى النجوم
فلا تتصاعد الى شاهق
فتتلوه في صفحات الضياء
هي العين باب الخيال الذي
فزاحم فيه الخيال الخيال
خلايا الدماغ تمثلها
فعانقها الفكر يشواقها
وشاد بها العقل عرشاً
أذل الشعور لسلطانه
ولم يتمرد سوى شهوة
ألا كم فتنت بسحر الجمال
وليس الجمال سوى مارميت،
سرفت الطبيعة شجلاً ولونا
وزورت حق الحقيقة حتى
حسبت المجاز أتم وأسمى
يقوم الحقيق لدى ناقد
خلقت من الوهم حسناً خلبت
وما الحسن في قسما الحبيب
ويختلف الذوق بين الأنام
تفند منسطة المارق
مركز بورتها الدائق^(١)
رؤوس الأشعة من شارق
وتختطف اللع من بارق
لك السر ينقض من شاهق
يذبذب مع موجه الصافق
يرحب بالشرح الطارق
ولاحقه انقاد للسابق^(٢)
تمثيل للخطر الرائق
عناق المشوق للشائق
يُنص لدولة منطق الناطق
وأعلى الضمير على العائق
تعبث بطائعها الفاسق
وكم كنت مفتتن العاشق
رسوم تخيلك السارق
ولفقت رسمك كاللافق
تماذيت في فنك الماذق^(٣)
وفنك أفوق من فائق
ويهوي مجازك من حائق
به الظن كالغلب البارق
بل الحسن في مقلة الوامق^(٤)
فما في الذوق بل الدائق

(١) الدائق الغائر يقال دقت العين إذا غارت (٢) إشارة الى تسلسل الافكار
واختلفها . فكل فكر أو خيال ينبه الى غيره (٣) الماذق الكاذب (٤) الوامق المحب

مليحك مج لغيرك والحب * * * يملئ البديع على النامق ^(١)
 وما الشعر الا الذي كنته * * * من السحر للشاعر الحاذق
 ففبك المباني ومنك المعاني * * * ولست بيان الحجي الصادق
 وكم كنت للقلب أدواءه * * * وحملت وزرك للخافق
 وبرئت في الروض عيائه * * * وجرم في صحنه الساحق ^(٢)
 أفي العدل أن تنعمي بالجمال * * * ويلتاع في وجده المالحق ^(٣)
 عجيب : تراشقنا بالسهام * * * وتبقى السهام مع الرافق
 ويحرق قلب الشجي لحظها * * * وينجذب القلب للحارق
 كأن القلوب فراش ترامت * * * على وهج ناظرها الحاذق
 وما السكرباء كهاروتها * * * به رعدة الوامض الصاق
 اذا فاض شعشع الحاظها * * * يفيض غرام القتي الرامق
 أتعرض تبغي مداراته ؟ * * * فحسبك ذكراه من راهق
 قبلت الغرام وأعطيته * * * كذوب يمن على صادق
 وكسر الجفون وسكر العيون * * * ها شيممة الفاتن المالحق
 خفوق الفؤاد وطول السهاد * * * ها لذة الهائم الغارق
 لكم خاب فيك شهى المنى * * * وغررت بالآمل الوائق
 إذا عشقوا كحلا فيك تهمت * * * وأسرفت في كحك الماذق
 وما أنت الا حليفة ضوء * * * * *
 فلو لا الضياء لما كنت الا * * * * *
 إذا غاب عنك يغيب الوجود * * * * *
 فلا تنجني على القلب وهو * * * * *
 ولا تطعمي النفس بالشاهيات * * * * *
 وعظفا عليها ورفقا بها * * * * *
 فيا كوكب الله في أرضه * * * * *
 يريك منى مجدك السامق ^(٤)
 صحنه من الدجى الفاسق
 المنذيك من دمه الدافق
 فتهمفو اليها بلا فارق
 كمطف الرفيق على الرافق
 جلوت لنا عظم الخالق
 نفور الحاراد

تخريج كتاب الملل والنحل

للمهرستاني^(١)

— ٢ —

١ - التخريج العلمي

(١) قيمة التخريج العلمي : (١) من أقوى الأسس لبناء نهضتنا العلمية . (ب) يجب علينا أن نقرر قواعده نظريًا وعمليًا . (ج) كما يجب - أولاً - أن نعرض نماذج مختلفة منه . (د) أول ما يلفت النظر في أمر التخريج العلمي .

(٢) نماذج مختلفة للتخريج العلمي : (١) مثال للإفراط : (١) تخريج عزيز صوريال كتاب قوانين الدواوين لابن ماتي . (ب) مثال للتفريط : (٢) تخريج فيليب حتي كتاب مختصر الفرق بين الفرق للرصيني . (ج) مثال للجمع بين الإفراط والتفريط : (٣) تخريج الستاس الكرملي كتاب النقود العربية وعلم النقشيات . (د) أمثلة للتخريج المضطرب الحائر بين طرفي الغلو والتقصير : (٤) تخريج أرثر أربري كتاب التوهم في التصوف للحاجي (٥) تخريج يوشع فنكل كتاب ثلاث رسائل للجاحظ (٦) تخريج ألفرد جيوم كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام للمهرستاني . (٧) تخريج بول كراوس كتاب مختار رسائل جابر ابن حيان . (٨) تخريج كراوس والحاجري مجموع رسائل الجاحظ . (٩) تخريج نيرج كتاب الانتصار للخياط . (١٠) تخريج أحمد زكي باشا كتاب الأصنام للسكبي . (١١)

(١) هذا هو عنوان الرسالة التي ناقشتها اللجنة الخامسة المؤلفة لذلك بدار كلية أصول الدين برئاسة سعادة الدكتور منصور باشا فهمي ، والتي حصلت بها على شهادة العالمية من درجة أستاذ بدرجة ممتاز في التوحيد والفلسفة من الجامعة الأزهرية بتاريخ ٢٤ من جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٦ من مايو سنة ١٩٤٦ م

تخريج احمد نسيم (دار الكتب) ديوان مهباز. (١٢) تخريج زيادة والشبال كتاب اذاعة
الامة للمقرزي. (١٣) تخريج زيادة كتاب السلوك المقرزي. (١٤) تخريج احمد أمين
والزبن والإبياري كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه. (١٥) تخريج احمد أمين والزبن
كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان. (١٦) تخريج احمد شاكر كتاب المعرب من الكلام
الأعجمي للجواليقي. (١٧) تخريج الميمني كتاب مصطلح اللآلئ للأوبني - (١٨) تخريج ريتز
كتاب مقالات الاسلاميين للأشعري - (١٩) تخريج ريتز كتاب الوافي بالوفيات
لصفدي - (٢٠) تخريج ماضي كتاب ابناء الزمن في أخبار اليمن لليحيى بن حسين.

هـ - ما تدل عليه هاتيك النماذج جملة

و - وجوب تقريرنا لقواعد التخريج العلمي وتثبيت مصطلحاته.

(٣) تقريرنا لقواعد التخريج العلمي نظرياً: (١) رغبات وحرص (ب) صبر وهذر

(ج) ما يجب أن يكون عليه المخرج (د) الواجب على المخرج (هـ) ما لا بد منه للمخرج (و)
مضى نطمئن الى التخريج العلمي ونعتمد عليه.

(٤) تمهيدنا لقواعد التخريج العلمي عملياً: (١) اجمال المراحل العملية (ب) جمع

المصادر وترتيبها.

(ج) نقد النصوص داخلياً (١) حال وصولها. عن طريق المؤلف - (٢) حال

وصولها عن طريق النساخ (٣) حال وصولها عن طريق الناقلين عن المؤلف. (د) نقد

النصوص خارجياً: (١) الواجب على المخرج (٢) التعليقات المقدمات. هـ - ثم لا بد

من: (١) تقسيم الكتاب. (٢) وعمل فهرس له.

٣ - تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) تخرج ولیم کیورتن للكتاب: (١) هل خرج کیورتن الكتاب تخرجاً علمياً؟

(ب) الأصول التي اعتمد عليها کیورتن (ج) منهج کیورتن في تخريج الكتاب نظرياً

(د) تلخيص نظرية کیورتن (هـ) مخالفة کیورتن عملياً لكل ما رسمه لنفسه نظرياً

من: (١) فحص الأصول جميعاً (٢) تخريج نص خاص يوافق عليه المؤلف (٣) نقل

القرآآت المختلفة بكل أمانة (٤) التصحيحات والملاحظات الخاصة. (و) إحساس کیورتن

بضعفه ومحاولته الاعتذار . (ز) كبورتن يفضح نفسه بنفسه (ح) ورفضنا لطبعة كيورتن مشكوراً .

(٢) منهاجي العملي في تخريج الكتاب : (١) وصل القارىء بقواعد التخريج السابقة (ب) سبيلي العملية : (١) نسخ الكتاب بخطي مراراً (٢) البحث والتنقيب في المكتبات العامة والخاصة (٣) جمع الأصول (٤) اصطفاء المتن وتصفيته (٥) إعراض عن لغو النساخ بعد عميق البحث (٦) أمثلة لهذا اللغو الذي أعرضت عنه (ج) ثم تقسيم الكتاب (د) ثم التاريخ لعصر المؤلف (هـ) ثم التاريخ للمؤلف .

(٣) الاستعانة بذوي الخبرة والمتخصصين (١) مراجعة فضيلة الشيخ عيسى منون (ب) مراجعة الدكتور أحمد زكي بك (ج) مراجعة الآب يوسف العظم اليسوعي (د) مراجعة الأستاذ عبد العزيز إسحاق (هـ) مراجعة الأستاذ عبد العزيز عبد الحق (و) جولاتي في الكتاب ، (ز) تقديم الكتاب إلى الناس جميعاً .

(٤) الأصول التي اعتمدنا عليها في تخريج الكتاب : (١) الترجمات (ب) المجموعات التي بلغت إثنتي عشرة مجموعة وهي : (١) ص : مطبوعات مصر على الهامش (٢) ع : مطبوعات مصر مجردة - (٣) ل : مطبوعات أوروبا (لندن وليفزج) - (٤) س : مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٩٧٧ (٥) ني : مخطوطة بدار الكتب أيضاً رقم ٦٩٤ (٦) لث : مخطوطة ثالثة بدار الكتب رقم ١٣٩٠ (٧) مر : مخطوطة محمود بك السبع (٨) صث : مخطوطة ثانية له وأخرى بالملكتبة الأزهرية رقم ١٤٧٣ توحيد (٩) سع : مخطوطة ثالثة ملكه أيضاً (١٠) ب - : مخطوطتنا (بدران) (١١) (١) : مخطوطة بالملكتبة الأزهرية رقم ٤٣١ توحيد (١٢) وثالثة بها رقم ٤٧٤ أباطة .

٤ - تقسيم كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) هل قسم الشهرستاني كتابه : ١ - يصمم الشهرستاني على كونه رياضياً أيضاً . ب - قوله إنه قسم كتابه على مناهج الحساب (المقدمة الخامسة) . ج - الحق إنه لم يقسمه ، أو لم يصل إلينا تقسيمه د - مراتب الحساب والاختلاف في الواحد والعدد .
(٢) المقدمة الخامسة وكبار المتخصصين : ١ - عجزي عن فهم تقسيم الكتاب من

هذه المقدمة . ب- عجز هاربركر الألماني عن فهمها وإسقاطه إياها . ج- عجز كيورتن أيضاً عن فهمها . د- رأي الدكتور أحمد زكي بك فيها . هـ - رأي بإزاء هذه المقدمة . و- هل هناك صلة بينها وبين الرياضيات الفيناغورية .

(٣) هل قسم أحد الكتاب تقسيماً صحيحاً : ا- ما ذكر في صدر المخطوطة « س » ب - تقسيم هاربركر .

(٤) تقسيمنا للكتاب : ا- التوحد الى أبي الفتح والرجوع إليه دائماً . ب - إسراره لي بالتقسيم (ج) تقسيمنا يوافق روح المؤلف ومراميه . د - تقسيمنا للكتاب جملة . (هـ) تفصيل موحز لهذا التقسيم و - إجمال ما فصلنا .

(٥) شكر وعرفان (وبعد) : « ا » شكر الدكتور ماضي . (ب) شكر الأستاذ كونس (ج) شكر الأستاذ ماسينيون

القسم الثاني - الشهرستاني وكتابه الملل والنحل

١ - عصر الشهرستاني

- (١) وجوب دراسة العصر .
- (٢) التحديد الزمني لعصر الشهرستاني .
- (٣) مصادرنا عن عصر الشهرستاني : ا - المجموعة الأولى : المصادر المعاصرة له . ب - المجموعة الثانية : المصادر المتوسطة . ج - المجموعة الثالثة : المصادر الحديثة . (٤) الرقعة الإسلامية في عصره . (٥) الحال السياسية في عصر صاحبنا ا - في العراق : ب - وفي خراسان أيضاً ج - وفي مصر د - وفي المغرب هـ - ثم الفرنج ، و - والباطنية . (٦) الحال الاجتماعية وتشمل فيما تشمل : ا - الحياة العقلية . ب - الحياة العلمية . ج - الحياة الدينية . و - الحياة الأخلاقية هـ - الحياة الاقتصادية . (٧) وبعد : إجمال حال العصر وما يتطلبه .

٢ - الشهرستاني

(١) مصادرنا عن الشهرستاني : ١ - المجموعة الأولى : المصادر المعاصرة له . ب -
المجموعة الثانية : المصادر المتوسطة ج - المجموعة الثالثة : المصادر الحديثة . د - دراسته
من شيوخه ه - دراسته في كتابه الملل والنحل .

(٢) نسبة الشهرستاني .

(٣) مولده ووفاته : ١ - الاختلاف في مولده . ب - الاختلاف في وفاته . ج -
تحقيقنا تاريخ مولده . د - تحقيقنا تاريخ موته .

(٤) اسمه وكنيته .

(٥) مذهبه وشيوخه : ١ - احمد الخوافي . ب - أبو القاسم الانصاري . ج -
أبو الحسن المدائني . د - أبو نصر القشيري . ه - أشعرية صاحبنا وشافعيته .

(٦) ألقابه العلمية .

(٧) اشتهاره بالفلسفة في زمنه .

(٨) اتهمه بالميل إلى الباطنية والغلو في التشيع . ١ - تحقيق ابن السبكي . ب -
تحقيقنا .

(٩) رأي أعلام العصر الحديث فيه : ١ - رأي هاربركر الألماني ب - رأي كراي فو
الفرنسي . ج - رأي ألفرد جيوم الانجليزي . د - رأي مصطفى عبد الرازق المصري .

(١٠) آفاقه العلمية : ١ - وهو رياضي أيضاً . ب - وهو محدث : ج - وهو مفسر .
د - جملة آفاقه العلمية .

(١١) رحلاته : ١ - بين خوارزم وخراسان . ب - بين مكة وبغداد . ج - رجوعه
إلى خوارزم وخراسان . د - مجالسه . ه - تقريرنا .

(١٢) لغاته : ١ - اللغة العربية . ب - اللغة الفارسية . ج - اللغة اليونانية : رأي
هاربركر ، رأينا . د - خلاصة رأينا في لغاته .

(١٣) وعظه وتصوفه : ١ - وعظه . ب - وتصوفه . ج - حكنا .

(١٤) اتصاله بالحكام : ١ - اتصاله بالوزير نهر الدين . ب - اتصاله بالسلطان

الأعظم سنجر

(١٥)

علم الكلام .

(ب)

(٣) تاريخ

سورة يوسف

(١٠) المبدأ

ومصابيح الأ

(١٦) نهاية

(١٦)

(١) تة

الشهرستاني

(٢) زم

الكتاب .

(٣) إ

الأولى . الثا

(٥) أهل ال

(ط) الفلام

(٤)

(٥)

الثاني .

(٦)

تحقيقنا من

الأعظم منجر . ج - هل أثر ذلك عليه ؟

(١٥) كتيبه : (١) كتيبه التي وصلت إلينا : (١) الملل والنحل (٢) نهاية الأقدام في علم الكلام .

(ب) كتيبه التي لم تصل إلينا بعد : (١) الارشاد الى عقائد العباد (٢) الاقطار في الأصول . (٣) تاريخ الحكماء (٤) تلخيص الاقسام لمذاهب الانام (٥) دقائق الاوهام (٦) شرح سورة يوسف . (٧) العيون والانهار (٨) غاية المرام في علم الكلام (٩) قصة موسى والخضر (١٠) المبدأ والمعاد (١١) مجالس مكتوبة (١٢) مصارعة الفلاسفة (١٣) مفاتيح الاسرار ومصابيح الاررار (١٤) المناهج والآيات (١٥) شبهات أرسطالس وبرقلي وابن سينا ونقضها (١٦) نهاية الاوهام

(١٦) نهاية الاوهام (١٦) وبعد : رأينا في أبي الفتح

٣ - كتاب الملل والنحل للشهرستاني

(١) تقديم الكتاب : (١) تقديم هاربركر (ب) ذبوع صيته والثناء عليه . (ج) تقديم الشهرستاني نفسه .

(٢) زمن تأليف الكتاب : (١) تحديده بوزارة نصير الدين . (ب) تحديده من نفس الكتاب . (ج) تقريرنا .

(٣) إجمال محتوياته : (١) مشتملات الكتاب جملة . (ب) مقدمات الكتاب الخمس : الأولى . الثانية . الثالثة . الرابعة . الخامسة (ج) تمهيد عام للقسم الأول . (د) المسلمون . (هـ) أهل الكتاب (و) من له شبهة كتاب . (ز) تمهيد عام للقسم الثاني . (ح) الصائبة (ط) الفلاسفة . (ي) آراء العرب في الجاهلية . (يا) آراء الهند . يب . الختام . (٤) اهتمام المؤلف بالمقدمات والخواتيم . (١) المقدمات (ب) والخواتيم أيضاً .

(٥) عنايته بالمصطلحات : (١) مصطلحات القسم الأول . (ب) مصطلحات القسم الثاني .

(٦) أسلوبه : (١) طعن كيورتن عليه . (ب) متابعة جيوم لـ كيورتن . (ج)

تحقيقنا من نفس الكتاب (د) رأي هاربركر (هـ) خلاصة تحقيقنا .

(٧) منهاجه : (١) ضابط الاختلافات عنده . (ب) طريقته في ترتيب الفرق . (ج) شرطه على نفسه (طريقته في النقل) (د) نصريجه بالخالفه : (هـ) تأكيده أخيراً بأنه صار على منهاجه . (و) مناقشتنا لأبي الفتح في سيره على منهاجه . (ز) طرفه على حسب تحقيقنا . (ح) سعة اطلاعه تفقت شرطه (ط) مقارناته تخرجه عن منهاجه . (ي) سيره على منهاجه .

(٨) مصادره وكيف استخدمها : (١) ماهي مصادره (ب) مصادره المباشرة (ج) مصادره غير المباشرة (د) وثوقه بمصادره وتحقيقه لها . (هـ) فهمه لها وتفهمه إياها .
(٩) حكمنا له أو عليه : (١) حكمنا عليه : (١) إغفاله بعض المقالات (٢) اعتماده على خبر الافتراق (٣) اضطرابه في عد كبار الفرق (٤) فرضه أن الفروع ثلاث وصبعون بجهد (٥) بعض الألفاظ النابية في الكتاب (٦) جمل هناته . (ب) حكمنا له : (١) موقفه من الشافعي والشافعية مذهبه في الفروع (٢) موقفه من الأشعري والأشعرية مذهبه في الأصول (٣) موقفه من النصاري (٤) موقفه من ابن سينا (الفلاسفة) (٥) استعانتنا بحكم المتخصصين (٦) خلاصة الحكم .
(١٠) تقدير ودعاء .

ثم : المصادر جملة : (١) المصادر الناطقة (ب) المصادر المكتوبة . (ج) أهم الكتب . وقد بسطنا الكلام على هذا كله في ٢٤٥ صفحة من القطع الكبير ضمها جميعاً مجلد واحد .

كتاب الملل والنحل : ولما كانت ترجمات الكتاب عن أصول عربية ، لم نرجع إليها إلا للكشف والهداية ، ثم قسمنا أصول الكتاب المطبوعة والمخطوطة — التي امتنعنا الوصول إليها — إلى مجموعات بلغت اثنتا عشرة مجموعة كاملة ، ورمزنا لكل مجموعة برمز خاص يدل عليها ، فجاءت كما يلي :

١ - ص. مطبوعات. مصر على هامش الفصل لابن حزم (إشارة إلى طبع مصر)

٢ - ع : مطبوعات مصر مجردة (إشارة إلى المطبعة العنانية)

- ٣ - ل. مطبوعات : أوربا (اشارة الى لندن وليبزج)
- ٤ - س : مخطوطة بدار الكتب المصرية (اشارة الى زمن نسخها وهو القرن السابع الهجري)
- ٥ - ني : مخطوطة ثمانية بدار الكتب أيضاً (اشارة الى منتصف القرن الثاني عشر الهجري) .
- ٦ - لك : مخطوطة ثالثة بدار الكتب كذلك (اشارة الى منتصف القرن الثالث عشر الهجري) .
- ٧ - سر : مخطوطة ملك محمود بك السبع المستشار بمصر (السنين اشارة الى اسمه والراء الى القرن العاشر الهجري) .
- ٨ - ست : مخطوطتان : إحداهما بمكتبة الأزهر ، والثانية للسبع بك (السين اشارة له والناء للقرن الثالث عشر الهجري) .
- ٩ - مع : مخطوطة ثالثة ملكه كذلك (السين لاسمه والعين للقرن السابع)
- ١٠ - (ب) مخطوطة ملك مخرج الكتاب محمد بن فتح الله بدران اشارة إلى اسمه بدران .
- ١١ - (ا) مخطوطة ثمانية بمكتبة الأزهر اشارة الى أنها نقلت عن أقدم نص الكتاب .
- ١٢ - (هـ) مخطوطة ثالثة بمكتبة الأزهر أيضاً (اشارة الى المكتبة الأزهرية) .
- ولقد وصل إلينا هذا الكتاب - في مختلف طبعته ومخطوطاته وترجماته - مخاض البناء مهلهل الرداء . ويعلم من بيده مفاتيح السر وما يخفى . كم واصلت الليل بالنهار ، والنهار بالليل ، باحثاً مفتشاً ، منقباً . . . حول نص أرجح ، أو علم أضبط ، أو اصطلاح أتكئنه ، أو معنى أتفههم ، أو كلمة أتعقب . وكل واجهت نصوص الكتاب جميعاً بعضها ببعض . جملة جملة ، وكلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً . مستلهماً المؤلف نفسه ، متمسكاً جرسه وهمسه ، منبهاً في المتن ما يدعو إليه أو يطمئن له ، ذاكرآ في الحواشي كل القراءات المختلفة ، الخائفة لما اخترت مما يؤدي الى معنى آخر ، أو مما قد يُفهم معه فهم ثانٍ . أو مما قد يمكن أن يُقرأ قراءة أخرى . ليختار القارئ ما يشاء . . . إن شاء معرضاً عن غير ذلك ، من اختلافات تُشقىل الكتاب ، وتُشقىل على القارئ ، ماراً ببلغو النساخ والمتعاملين من الكرام ، بعد أن أقف على هذا اللغو طويلاً ، وبعد أن أقلب فيه أوجه النظر ، وأدير عليه وجوه البحث ، فلا أجد

فيه غناء ، ولا أعرف له وجهاً ، فلم أذكر في الحواشي : ما لا معنى له لغةً أو اصطلاحاً ، وما لا يستقيم المعنى معه ، وما يقطع البحث التاريخي بخطئه ، مما ظن النساخ والمتعاملون أنهم يصنعون به متن المؤلف ، كما أبعدت منها ما لا فائدة ترجى منه . ومع كل هذا ، فقد بلغت المفارقات التي دونتها في حواشي الكتاب ٦٢٧٥ مفارقة ، وقد تصل المفارقة الواحدة الى ٢٤ سطراً .

وبهذا استطعنا أن نُخرِّج هذا الكتاب - لا نسخة منه - للناس جميعاً : نعم نستطيع أن نقدمه - دون أن ندّخر وسعاً في التحقيق العلمي والأمانة العلمية - لخواص المتخصصين ، إذ تقدم لهم كل نسخة نسخة - عثرنا عليها - من نسخ الكتاب مخطوطة أو مطبوعة ، وما على الباحث إلا أن يعرف رمز النسخة التي يريد الاطلاع عليها ، ويتابع ذلك الرمز في الحواشي مع قراءة المتن ، فيحصل بذلك على النسخة التي يريد ، وحسبنا أن نشعر برغبة هؤلاء الباحثين المنقبين ، ونقدم إليهم عشرات النسخ في كتاب ، ونستطيع أن نقدم ذلك الكتاب نفسه - دون أن نفرض رأينا فرضاً - لجمهور المثقفين من القراء ، بعد أن بذلنا فيه طويلاً وقتناً لنحفظ عليهم وقتهم ، هؤلاء إنما نقدم لهم المتن نقياً خالصاً . . . وحسبنا أن نتعب ونتعب ، نرّج هؤلاء وهؤلاء ،

وفوق هذا ، فإننا انفردنا بابتكار عناوين مفصلة للكتاب كله بلغت ٢٨٣٠ عنواناً ، نثرناها على الهامش الأيمن للكتاب ، وجمعناها في الفهرس الثاني من فهارسه . كما أثبتنا على الهامش الأيسر أرقاماً تدل على عدد السطور لتكون همزة الوصل بين القارئ والفهارس والكتاب .

بعد أن بذلنا غاية الجهد حتى تفرّدنا بتقسيم الكتاب وتجزئته وتبويبه وتفصيله ، بما يوافق روح المؤلف ، ويوفق بينه وبين العصر الحديث ، وقد نثرنا كل هذا في كل الكتاب وجمعناه في الفهرس الأول من فهارسه .

وقد استغرق متن الكتاب مجلدين : مجلد خاص بأرباب الديانات والملل ، وآخر خاص بأهل الأهواء والنحل ، واشتمل هذان المجلدان على ٨٦٦ صفحة من القطع الكبير .

فهارس كتاب الملل والنحل : ولما كانت فائدة الفهارس أن تقوم القارىء في سهولة ودقة ويسر وسرعة إلى حيث يريد من الكتاب ، وهي بهذا تعتبر روح الكتاب ومفتاحه كان هدفنا الأول والآخر أن تكون فهارسنا هذي هي القائد الحكيم للقارىء الكريم ، مهما كلفنا ذلك من جهد ومشقة ، فجاءت بحمد الله وفق ما نرجو . وهل يستطيع باحث الآن أن ينتفع انتفاعاً كاملاً ودقيقاً بكتاب ما إلا إذا قادته إلى حيث يريد منه فهارسه خصوصاً إذا كان الكتاب مترامي الأطراف متسع الآفاق ككتاب الملل والنحل ، لهذا وقفت عنايتي حيناً من الدهر لا ابتكار هاتيك الفهارس المتنوعة لذلك الكتاب ، وكلي أمل أن يستفيد منها الباحث فتقيدته ، وأن تجذب القارىء إلى الكتاب فينجذب إليه .

ولقد ابتدأت بالفهرس الاجمالي لمحتويات الكتاب وانتزعت من التقسيم الذي تفردت به ، وعانيت فيه ما عانيت ... حتى جاء الكتاب في قسمين في سبعة أجزاء في خمسة وعشرين باباً في ١٣٣ فصلاً ،

القسم الأول يشمل ثلاثة أجزاء : المساهون — أهل الكتاب — من له شبه كتاب ، وهم أرباب الديانات والملل .

والقسم الثاني يشمل أربعة أجزاء : الصابئة — الفلاسفة — العرب — الهند ، وهم أهل الأهواء والنحل .

وثبتت بالفهرس التفصيلي لمحتويات الكتاب ، وانتزعت من العناوين الجانبية التي ابتكرتها ، ونشرتها على الهامش الأيمن للكتاب والتي بلغت ٢٨٣٠ عنواناً .

وثلثت بفهرس الترجمة الألمانية لهاربركر — وقد ناقشته في كتابنا المدخل — وجعلته كملحق للفهرس الأول المنتزع من تقسيمنا للكتاب ، للمقارنة بينهما من ناحية ، ولإستكمال المنهج العلمي من ناحية أخرى .

وربعت بفهرس المخطوطة « ص » كملحق للفهرس الثاني ابتكارنا ، للمقارنة بينهما من ناحية ، ولإستكمال المنهج العلمي من ناحية ثانية ، وللمحافظة على الأمانة العلمية من ناحية ثالثة ثم ختمت بفهرس البلاد والأماكن التي انتزعتها من نجاد الكتاب وودهاده ، بعد أن

رتبتها ترتيباً هجائياً على حسب النطاق بها وكتابتها ، مثبتاً أمام البلد أو المكان رقم الصفحة فالسطر الوارد فيه .

ثم صدرت بفهرس الفرق والقبائل المنشورة في مطاوي الكتاب وثنياته ، ذا كراً أمام كل فرقة أو قبيلة أرقام الصفحات التي خصصت لها بعد علامة = من ... إلى ... ثم مثبتاً رقم الصفحة فالسطر الواردة فيهما الفرقة أو القبيلة في غيرها خصص ما .. وقد رتبناها على حروف الهجاء .

وأخيراً — وليس آخرأ أن شاء الله — ختمت هاتيك الفهارس — الآن — بفهرس الاعلام للأفراد ، مرتباً كسابقيه على حسب النطق والكتابة وأحرف الهجاء ، ذا كراً الصفحة فالسطر الوارد فيهما ذلك العلم أولاً ثم مثبتاً أمام ذلك ما انفرد به هذا العلم من رأي أو ماسيق هذا العلم من أجله إن كان في ذلك غناء أو نفع علمي . وقد شملت هذه الفهارس جميعاً ١٨٤ صفحة من القطع الكبير .

وبعد : فانه لمن حسن حظ هذا النوع الجديد من البحث — الذي نهيب بالملخصين والمتصوفين من العلماء والباحثين وبخاصة طالبي الإجازات العلمية أن يسلكوا سبيله — أن يخرج من الأزهر ، وفي الأزهر ، وللأزهر ، ليشعنه على العالم كله ، وقد استوى على الأزهر الآلاني عالم عالمي ، نرجو أن يدفع بسرعة وقوة الأزهر ورجاله وأبناءه بكلمات يديه — كما يقول — ذلكم هو فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق قواه الله وأمانه .

والله نسأل : أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ، وأن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يوفقنا لخدمة العلم والدين

محمد بن فتح الله برراره

الرياضيات

في العلوم الطبيعية

الكون عالم طبيعي (فوزيني) فلماذا نرى عنصر الرياضة قد أصبح حقيقة لا غنى عنها في علم الطبيعة ؟

هذا سؤال ألقاه السير جيمز جينز ، ولكنه أجاب على سؤاله بقوله : « لأن خالق الكون رياضي بحت » . لكن السير ارثر أدنجن أراد أن يخفف من وطأة الجواب فقال : « إننا نحن الذين وضعنا عنصر الرياضة في الطبيعة » . ولست أدري هل جرد الخالق من صفة الرياضة ، أم جرد الكون من تكوينه الهندسي ، عند هذا قامت الأستاذة سوزانا ستينغ^(١) وهاجت العالمين بشدة وأنكرت قولها وأرادت أن يكون الجواب على هذا السؤال ما يلي : « لقد خلق الله الكون في صورة رياضية » .

وعلى كل حال فقد اتفق العالم والفيلسوف على أن الرياضيات أساس في طبيعة الكون وخلقها ، وإنه يتعذر علينا تحليل ظواهر الطبيعة وتفسيرها دون الالتجاء الى الرياضيات . ولقد اتفق العالم والفيلسوف — كما قلت — في فهم هذا الكون وتركيبه ولكنهما اختلفا في صيغة التعريف ، فالعالم يعتمد على التجربة وعلى الحساب الدقيق عند القياسات أثناء التجربة ، فعنده ، أن الظواهر الطبيعية لا تفسر إلا بالتجربة والقياس . أما الفيلسوف فيعتمد على العقل المجرد فيعمل ظواهر الطبيعة على أساس المنطق ، وكنهراً ما يخطئ المنطق في هذه التعليلات ، ولعله يخطئ دائماً في هذه الناحية لأن القوانين المنطقية لا تساعدنا في فهم العالم التجريبي ، فجميع معارفنا عن الحقيقة تأتينا عن طريق التجربة ، فالمنطق لا صيبل له في تعليل الظواهر الطبيعية دون التجربة . وفي هذا الصدد يقول إنشتين « إن أقوال المنطقيين البحت كلها فارغة بالنسبة للحقيقة » .

ولما كانت التجربة تعتمد على القياس إذن فعنصر الرياضة حقيقة لازمة في تفهم أسرار الكون وتعليل ظواهره . لنأخذ مثلاً بسيطاً : نلاحظ عند مرور تيار كهربائي في أنبوب يحتوي على غاز مخفف منظره جميلاً . فالظاهرة تبين ما يحدث عند مرور التيار الكهربائي في

الأنبوب وتنقطع بقطعه ، هذه ظاهرة فزيقية . أما التجربة فتعلمنا مقدار كثافة الغاز ونوعه وان اللون المرئي هو خاص لذلك النوع من الغاز ، وتعلمنا أيضاً مقدار قوة التيار وجريانه . . . الخ . هذه الايضاحات تكفيها من التجربة . ولعل هذا كل ما يقال في تحليل هذه الظاهرة قبل خمسين سنة . ولكننا اليوم لا نكتفي بهذه الايضاحات بل نسأل عن أسباب أخرى فندخل حدود العلم النظري فنتطرق الى التركيب الذري والشحنات الكهربائية التي تحملها الجسيمات عند خروجها في السلك الكهربائي ، وتصادمها مع ذرات الغاز ، وتفاعلهما معها تفاعلاً آلياً ، عندئذ نصل بعد جهد الى تحليل الظاهرة وهكذا فالتجربة التي كانت قبلاً بسيطة قد أصبحت معقدة تجرنا على أن نتطرق حقولاً جديدة في العلوم نحتاج في تفسيرها الى معرفة العلوم الذرية والرياضيات العالية .

على هذه الطريقة تقدم العلم الفيزيقي وبواسطة الرياضيات حقق سيادته على غيره من العلوم فنشأ من تقدم الرياضة وملازماتها له نوحان من العلوم الفزيقية ، العلم التجريبي الذي يعتمد على التجربة والحسابات ، والعلم النظري الذي يعتمد على الحلول الرياضية في الوصول الى النتائج الفزيقية بغير التجربة اليدوية . فنيوتن الذي يعد أبو الفزيقا النظرية كان يعتقد أنه من الممكن استخلاص جميع الأسس والقوانين التي وضعها عن طريق التجربة وهذا ما كان يعني بقوله المأثور hypotheses non fingo

علمنا أن التجربة تحتاج الى القياسات أو قل هي القياسات بعينها ، إذن يطابق هذا القول تعريف هايزنبرغ للعلوم الفزيقية حيث يقول « الفزيقا هي علم القياسات » . وعند ما كان يعتقد نيوتن إنه من الممكن الحصول على جميع أسس وقوانين الطبيعة عن طريق التجربة ، هكذا كان يعتقد مكسول عند ما أراد أن يحصل على جميع نتائج (فراداي) في علمي المغنطيس والكهرباء عن طريق الحلول الرياضية وهكذا كان ، فقد نجح في الوصول الى تلك النتائج بواسطة الرياضيات وقد زاد عليها قوانينه المشهورة وبحوثه التي من جرائها سهلت اكتشافات عديدة كاللاسلكي والراديو والردار وغيرها .

برز في حقول الرياضيات الطبيعية علماء أفذاذ قدموا العلم خطياً واسعة ورقوا به الى أسمى الدرجات فأصبح سلم السعادة ، وآلة الفتك والدمار . كان لبلانك ودي بروي وهايزنبرغ وشرودينجر وديراك وبور وغيرهم أثر بعيد في تقدم علم الطبيعيات الحديثة أخصها الفزيقا الذرية . وكان لفتنجرالد ولورنتز ومنكوفسكي وانشتين في تقدم النسبية .

فالقمة الأولى كان جل اهتمامها بالناحية الرياضية في الحقول الذرية فتقدم هذا الفرع شوطاً بعيداً ووصلوا الى الشاطئ المجهول قبل أن يصل اليه علماء التجربة . فبهم تقدم علم

الميكانيكا المقدارية quantum mechanics وعندما توصل علماء التجربة الى وجود دقائق جديدة في عالم الذرة كالنيوترون والميزون والبوزترون التي مهدت الطريق الى استخراج الطاقة الذرية الكامنة، تقدم هؤلاء النظريون بواسطة علومهم الرياضية في علوم الميكانيكا الجبرية Matrix Mechanics وبتبعها الميكانيكا الموجية Wave Mechancis. فلهذه الأخيرة كانت اليد الطولى في تعيين خصائص الذرة وتركيبها وتفاعلها والتي مهدت السبيل الى اكتشاف القنبلة الذرية، تلك القنبلة التي أهلكك ودمرت وفرضت السلام على العالم فرضاً (١)

فالخطى التي أحرزها العلم الفيزيقي بواسطة الرياضيات يعد من عجائب هذا العصر فقوانين نيوتن في الميكانيكا لم تعد تصح على دقائق الضوء فاقصر فعلها على الكتل الكبيرة والقذائف المرئية. وأما الفئة النائية فقد جاءتنا بأبحاث في تنظيم الكون وتفسير مسالك الأجرام والظواهر الكونية. فبحسبوا في الزمان والمكان وصحتهما المطلقة، وارتقوا بنا الى أعالي الأجواء لنعرف مدى الكون، أهو امتداد لا نهائي، أم هو كون مكور محدود، فقدّموا لنا تقريراً وافياً عن هندسة الكون وشكله أرجعنا الى بداية هذا الحديث، وأعلمنا أن خالق الكون رياضي مبدع، أو قل إن هذا الكون قد خلق على نظام هندسي مدهش. فكانت النسبية الخاصة تقول: ان القوانين الطبيعية العامة ليست متباينة بالنسبة لمعادلات لورنتز.

وكانت النسبة العامة تقول: ان تساوي جميع نظم الاحداثيات الجوسية (٢) أساس في تكوين القوانين الطبيعية العامة (٣). بهذه اللغة نفسر الكون، هذه اللغة الرياضية التي جعلت الإنسان يؤمن بالعقل ومبتكراته، وحيث يقف أمام هيكل هذه الآلة قائلاً: أيها الرياضيات يامن لك الفضل الأكبر في تنمية العلوم وتوسيع مدارك الإنسان لك تدين المكتشفات، وبك عرف الشاطئ المجهول، أنت القابضة على أحداث الموسيقى واهزازاتها، بك تقدمت الفيزيكا وإليك ترجع الكيمياء، بقدرتك حمل الإنسان الكون على كفه، يقلبه ليستقصي مسالكه ويعرف مادته.

لا مجال للاستغراب في هذا الحديث، فالرياضة إحدى الطرق التي بها ننظر الى الأشياء والذي لا يعرفها فهو خاسر، وخسرانه كبير في فهم العلوم وأسرار الكون، ولو أنه لا يشعر بهذه الخسارة ممثلة كمثل المصاب بعى اللون الذي لا يقوى على رؤيته (٤)

فؤاد جميعه

(١) مجلة اندفر سبتمبر سنة ١٩٤٦ (٢) نسبة الى الرياضي الشهير جاوس Gauss (٣) تلخيص انشتاين.

(٤) Mc Kay, The World of Number

الأثر الدينيوي

في الفن القبطي

من الأمور المتفق عليها حتى العصر الحاضر بين علماء الآثار والمؤرخين أن الفن القبطي إنما هو فن ديني مسيحي محض يعبر عن فن الأديرة والكنائس، مؤثراته دينية كما أن أغراضه دينية أيضاً، بمعنى أنه لم يتأثر بمؤثرات دنيوية وإنه لم يرم إلى أغراض دنيوية (مدنية). ويبدأ هذا الفن القبطي أو الفن البيزنطي في نظر هؤلاء العلماء منذ سنة ٣٩٥ ميلادية وقت أن أصبحت الديانة المسيحية ديناً رسمياً لمصر، ويستمر حتى سنة ٦٤٠ ميلادية، وهو وقت دخول العرب مصر.

ولكن إذا رجعنا إلى أصل كلمة قبطي وجدنا أنها في معناها ترادف كلمة مصري سواء بسواء، بمعنى أن جميع سكان وادي النيل كان يطلق عليهم قبل غزو الاسكندر الأكبر لمصر بمدة طويلة اللفظ اليوناني « ايجمتيوس » الذي حُرِّف بعد ذلك إلى لفظ قبطي. وهذا يقطع بأن كلمة قبطي لا علاقة لها إطلاقاً بالنزعة الدينية، بل كان لفظها يستعمل قبل دخول المسيحية مصر وفي عهد المسيحية وبعدها.

نخرج من هذا بنتيجة هامة وهي أن الفن القبطي كان فناً مصرياً قبل أن يكون فناً دينياً كما هو الرأي الشائع حتى الآن.

ومجرد إعادة النظر في الآثار القبطية الموجودة بالمتحف القبطي، وفي باقي المتاحف المصرية، وكذلك في مختلف متاحف أوروبا وأمريكا، وفي الأسباب التي استند عليها العلماء في رأيهم السابق، وفي ما قام به العلماء من حفريات — يدلنا على أنهم مخطئون فيما يذهبون إليه، فقد خضع الفن القبطي كغيره من سائر الفنون لمؤثرات البيئة التي نشأ فيها وهذه المؤثرات منها ما هو ديني ومنها ما هو دنيوي، وهو ترجمان صادق للحياة المصرية في تلك الفترة من الزمن وما قبلها وما بعدها.

فثلاً وجد في كثير من المقابر والمباني المدنية آثاراً بغضه إلى الدين المسيحي والمتدينين به، فالتحف القبطي زاخر بصور العراة وبأدوات الزينة من مكاحل وأمشاط وحلى السيدات، من ذلك الخلاخيل والأساور الحلاة برأس النعبان (وهي العادة الفرعونية القديمة والمنشرة حتى الآن) وما إلى الخلاخيل من العقود والخواتم التي على شكل زهرة اللوتس أو الحلافة بعلامة إيب الفرعونية (أي القلب) والحلقان الذهبية التي على شكل عنقود العنب، والتياب المدنية المزركشة والمزخرفة بزخرفة فرعونية كالجعل المجنح أو علامة عنخ الفرعونية (أي الحياة) وهي بلا شك من آثار الحضارة المصرية الفرعونية. كذلك ترك لنا الفن القبطي آثاراً منزلية كثيرة عليها بعض مناظر لأشخاص عراة أو لرافعين أو راقصات، كما أن بعضها يشبه ما وجد في مقابر الفراعنة كالأواني الفخارية، أو بعض الأواني المعدنية، كالإبراء الذي يشابه العلامة الفرعونية (حسى) أي ممدوح، أو المعلقة الصدفية التي لها يد من حديد وتنتهي بشوكة وتشبه في شكلها تلك التي وجدت أخيراً في حفائر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم بمحطة حلوان وهي مصنوعة من العاج ويرجع تاريخها إلى أوائل عصر وحدة مصر الأولى تحت عرش ملك واحد.

كما أن البعض الآخر من الآثار القبطية عليه مناظر نيل مصر، من طيور، وأسماء أو نبات البردي، أو التمساح أو المراكب والنيل بلا شك قوام حياة مصر في كل عصورها، ولا علاقة لكل هذا بالدين المسيحي لا من قريب أو بعيد.

كما أن هناك آثاراً عديدة من العصر القبطي لمصريين لم تكن المسيحية ديانتهم. وقد استوحى هذا الفريق من المصريين الذين لم يكونوا قد اعتنقوا المسيحية بعد في فنهم مؤثرات غير مسيحية، وهذا يدل على أن الفن القبطي كان فناً مشتركاً بين المسيحيين وغير المسيحيين من المصريين.

زد على ذلك أن على كثير من المباني رسوماً حيوانية كصيد الأسد أو الغزال أو الطيور أو مناظر لبعض نباتات مصر كالنخيل واللوتس والبردي والزمان. وإن أصل الكثير من هذه الرسوم يرجع إلى مصر الفرعونية، ويبين استمرار وحدة الفن المصري في عصوره المختلفة.

في نظرم)
فنًا قبطيًا



ولكن
الروماني ، أ
الكثير من
القبطي وجد
الأكبر مصر
القبطي الفرع
فقد ثبت
صداها في كا
ولا يمكن
مصر في هذا

وفوق هذا عثر المنقبون على آثار قبطية هي عبارة عن أدوات زراعية كالقأس والشرشرة—ومصر بلاد زراعية—أو أدوات طبية، كالمرود والسكين والمقبض، أو أدوات الكيل، والوزن، أو أدوات الكتابة، أو أدوات الطهي، أو أدوات النسيج، والكثير منها يرجع في أصله إلى مصر الفرعونية.

ولا داعي للقول بأن كل هذه الأشياء لا تمت إلى الدين المسيحي بأي صلة مما يؤيد الرأي الذي نقول به، وهو أن الفن القبطي تأثر بمؤثرات دنيوية (مدنية) فوق تأثره بالمؤثرات الدينية المعروفة، فالن في كل عصر وفي كل بلد إنما هو ترجمان للحياة في شتى نواحيها.

ويرجع كثير من الرسوم الجصية التي كانت تزين بها بعض المباني القبطية في أصلها إلى نقوش فرعونية، أو زينة فرعونية، بل إنها كانت تصنع بنفس الطريقة الفرعونية. وكذلك كان التصوير بالألوان على لوحات المومياة يرجع إلى تطور العادات المصرية الفرعونية.

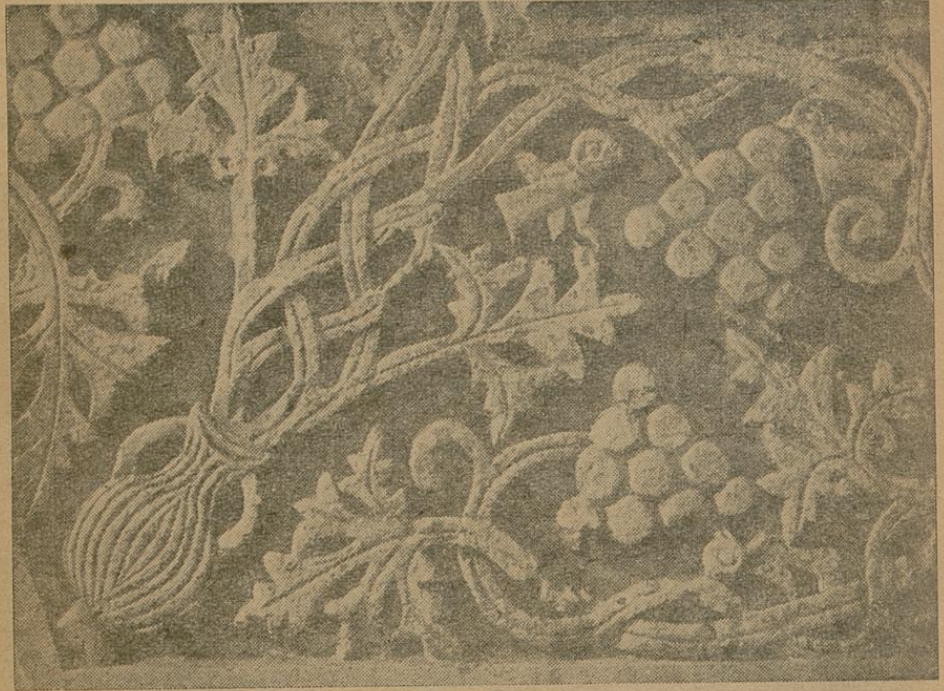
وهناك كثير من الرسوم التي وجدناها العلماء مرسومة على قطع من القماش تعبر في مرماها عن أشياء لا تمت للدين بصلة ما رغم أنها رسمت بعد أن أصبحت المسيحية دينًا رسميًا للدولة الامبراطورية الرومانية التي كانت مصر في القرن الرابع الميلادي إحدى أجزائها.

ومما يقطع بصحة رأينا تلك الرسوم الكثيرة التي وجدناها العلماء على جدران بعض الكنائس والأديرة التي لا علاقة لها بالدين إطلاقًا، وإنما هي ترمز إلى صور من الحياة المادية، فمثلاً: ما علاقة عصفور يأكل عنبًا (صورة رقم ٦) أو صور أشجار وفواكه وأزهار أو صور هندسية بالدين؟

بل من الطريف أن القبطي لم تفته روح الدعابة والمرح التي ورثها عن أجداده قدماء المصريين، إذ ضمن رسومه حكمًا وأمثالًا كانت متداولة في مصر الفرعونية ولا زال بعضها مضرب الأمثال حتى وقتنا الحاضر. مثال ذلك لعبة القبط والفار المرسومة على جدران أحد مباني باويط

وإذا ذهبنا مع هؤلاء العلماء مذهبًا بعيداً لوجب القول بأن الفن القبطي (الفن البيزنطي

في نظرم) وجد معاصراً للعصر المسيحي بمعنى انه لم يوجد قبل هذا العصر ما يسمى فنًا قبطيًا.



صورة رقم ٦ (تصوير المتحف القبطي)

ولكن اذا عرفنا أن الفنون التي نمت وازدهرت في أنحاء مصر أثناء الحكم اليوناني الروماني ، أثرت في الفن اليوناني الروماني نفسه ، وقد قلد اليونان والرومان في عمارتهم الكثير من أساليب العمارة الفرعونية وزخرفتها ، وجب أن نخرج بنتيجة وهي أن الفن القبطي وجد قبل ظهور المسيحية بزمان طويل نستطيع تحديده نوعاً بدخول الاسكندر الأكبر مصر حوالي سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، حتى لا نخلط بين الفن القبطي المصري ، والفن القبطي الفرعوني كما يجب أن نسميهما .

فقد ثبت انه كان للمصريين في العصر السابق للمسيحية فن مجيد ونهضة فنية رائعة رنّ صداها في كافة الأرجاء ، وتأثرت بها صائر البلدان المجاورة .

ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نوافق على رأي العلماء من أن الفن الذي ظهر في مصر في هذا العصر كان فنًا يونانيًا رومانيًا محض ، أو نوافق على رأي انه رقيق الآخر

من أن الفن الهيلينستي وهو المزيج من اليوناني المتأخر، وفن بعض الشعوب الشرقية كفارس وسوريا وبابل هو الذي ساد في هذا العصر في مصر والآن وقد سقنا هذه الأمثلة العديدة والأدلة التي بينها نستطيع أن نؤكد بأن الفن القبطي ليس كما يقول العلماء فنًا دينيًا مسيحيًا محضًا، وإنما هو فن مصري له مؤثراته وأغراضه الديوية، كما أن له أغراضاً ومؤثرات دينية.



صيد الأسد (تصوير المتحف القبطي)

ومما يعزز قولنا هو تفرع اللغة القبطية إلى لهجات منها : اللهجة البهيرية ، والصعيدية ، والأخميمية ، والقيومية ، التي تدل دلالة واضحة على التطور الاقليمي للغة المصرية القديمة . ولم تؤثر اللغة اليونانية على القبطية الا من حيث بعض حروف الهجاء وبعض المفردات الدخيلة .

دكتور باهور ربيب
الامين بالمتحف القبطي

الاستحمام

وفوائده الصحية والطبية

يراد بالاستحمام تعريض كل الجسد للماء والرياضة المضلية وليس دخول الحمام للإغتسال بالماء الحار فقط بقصد النظافة ، والغرض منه كما لا يخفى إزالة الافرازات الجلدية كالعرق والمواد الدهنية التي تبرز بالغبار وتلتصق بالجلد . فاذا لم تُزل تلك الافرازات رخصت حينئذ بالجلد وكوَّنت قشوراً تمنع تنفس الجلد وإفراز العرق ، وهذا ما يؤدي الى أمراض خطيرة . وقد يموت الانسان إذا حُجز عنه التنفس الجلدي مثلاً يموت إذا حُجز عنه الهواء . فلا بدّ للانسان إذاً من غسل جسمه دائماً مهما كان سنه ومنزلته ، غنياً كان أم فقيراً ، سليماً أم غليلاً ، طفلاً أم شيخاً . كيف لا وهو واسطة النظافة والصحة الجيدة ، وعامل حيوي لدفع كثير من العلل والأمراض التي تأتي عن طريق الجلد بما يلمص على سطحه كما قلنا من الأوساخ والأدران والأملاح والقشور التي يفرزها العرق والغدد الدهنية . وبالرغم من وجود المنشآت الكثيرة المخصصة للاستحمام في أيامنا هذه لا زال بعيدين جداً عن اهتمام الشعوب القديمة من حيث النظافة ومضاهاتها لها من هذه الناحية .

فالحمامات عند اليونان والرومان كما يؤكد بعض المؤرخين كانت لا تماثل حسناً وكبراً ، وقد بلغت درجة من الاهمية بحيث أفسحوا للناس مجالاً واسعاً لارتياحها سواء أكانوا من العامة أم الخاصة . فكانوا يقدرّون إذ ذاك قوة الجسم وجماله ورشاقته ويعملون على المحافظة عليه ، ولا تزال ماثلة الى اليوم في أوروبا بقايا تلك الأماكن الجميلة المخصصة للاستحمام . ففي روما مثلاً كان يوجد لدى جميع الأشراف والأغنياء ، حتى الطبقة المتوسطة من الشعب ، حمامات خاصة في بيوتهم — هذا عدا الحمامات العمومية لطبقات الشعب . أما في أيامنا هذه فلا نرى ما يذكرنا بتلك التماثيل الكبيرة الرائعة التي لا تزال آثارها باقية في أراضي المملكة القديمة كتماثيل الحمامات العامة لاوغسطس ، ونيرون ، وكرا كلا في رومة ، وتماثيل قيصر في باريس . وقد كلن الاستحمام للأهالي مجانياً تقريباً أي باستئمين فقط ، ولا يخفى

ما لوجود مثل هذه المنشآت وأماكن الاستحمام من المنافع الجزيلة للصحة العامة .
ويمكن القول أن النظافة لم تبدى بالتقدم جدياً بعد ذلك إلا في أيام الصليبيين
خصوصاً عند الطبقة الميسورة ، وقد امتد ذوق استعمال الحمامات من الشرق الى فرنسا .
ويكفي أن تطوف الآن شوارع باريس القديمة وتشاهد معاملها ورسومها وتقرأ أسماء شوارعها
كي تتأكد من وجود أماكن عديدة طامة للاستحمام في ذلك الزمن .

وقد كتب أحد المؤرخين الغربيين فصلاً ممتعاً عن عادات أهل البلاد وأخلاقهم في ذلك
الزمن أي من القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر جاء فيه ما يلي : « لكي يكون
الاستقبال حاراً ويبدو ودياً نفماً إذا دُعي أحدهم إلى تناول الطعام عند أسرة ما ، فعلى
أصحاب الدعوة أن يهيئوا للمدعو أولاً حماماً حاراً فور وصوله الى بيت هذه الأسرة ،
وبعد الانتهاء من الحمام يأتي الضيف توجاً الى غرفة الأكل لتناول الطعام » .

ولعمري ليست النظافة وحدها ما يكسبه الجسم بالاستحمام ، بل هنالك أيضاً إنعاش الجسد
وتسكين أعصاب الجلد ، والبهجة والنشاط والرشاقة وخفة الحركة والصحة وبالتالي طول
الحياة . وإذا أمعنا الفكر قليلاً ألقينا أيضاً أن النظافة هي أساس الوقاية من الأمراض
المعدية ، ولناخذ مثلاً على ذلك الحمى التيفية التي تنتقل من المريض الى السليم بوساطة
المواد البرازية . فاذا روعيت النظافة في هذه الحالة أمكننا التخلص من هذا المرض بدون أن
نتعرض للتلوث به ونبتى سالمين منه . وهكذا قل عن الزحار والهيضة (الكوليرا) وغيرها .
زد على ذلك أن النظافة هي أساس الجمال . فالزينة والتبرج مهما بلغا حد الكمال والاتقان
يبعثان في النفس النفور والاشمئزاز أكثر من الإعجاب والاطراء — إذا لم يكونا مقرونين
أولاً بالنظافة ومراعاة الطهارة الجسدية ، ومهما تكن المرأة جميلة مليحة فإن قذارة ملابسها
أو اتساخ جسمها يسلبها الملاحظة والفتنة والجاذبية التي تنشدها . وهذا كله لا يتم إلا
بالاستحمام .

وفي أيامنا هذه نرى أن أنفج الحمامات هي عند الأميركيين ويشبهون من هذه الناحية
اليونان القدماء . أما اليابانيون الذين يُعدُّون أنظف أمم الأرض كما يؤكد الكثير من
الباحثين ، وأعظمهم إقبالاً على الاستحمام ، فانهم يستعملون المرش (دوش) وليس الأحواض

(بانيو) كما

الجسم وذات

بالماء الساخن

ومما يند

الشتاء ، و

هذا ينشط

المتباعدة من

وغيرها .

(فائد

وأدبية ، و

١ —

الغرق حمام

النبض بحمير

نواحي الج

والكلية

على متابعة

طبيياً

الحادة . و

الولد في الماء

الاستحمام

الكلية الحاد

غير أ

الهوائية لا

وهي تهد

(بانيو) كما يفعل الغربيون ، وهم يسخرون من هؤلاء لأنهم يستحمون في ماء قد تلوّث بأفذار الجسم وذاب به الصابون ، فالنظافة لا تُعدُّ تامة في هذه الحالة ما لم يُنظف الجسم بعدئذٍ بالماء الساخن النظيف أو بالمرش .

ومما يذكر في هذا الصدد أن الرويحيين قد اتخذوا عادة الاستحمام في العراء في فصل الشتاء ، وغالباً ما يستعملون الجليد بدل الماء فيحك المستحم جسمه بقطع منه . صحيح أن هذا ينشط الدورة الدموية ويفيد الجلد فائدة كبرى ، غير أن هذه الطريقة لا تأتي بالفائدة المبتغاة من جهة تنظيف الجسم وإزالة ما يكون قد علق به من الأدران والأوساخ والأملاح وغيرها .

(فائدة الاستحمام للجسم) : وتأثير الحمام على جسمنا له فوائد من نواح ثلاث : طبيعية ، وأدبية ، وعقلية .

١ - الحمام الساخن : (٣٤ - ٣٨ درجة مئوية) : يفتح مسام الجلد فيجري منها العرق حاملاً معه السموم الكثيرة والأفذار المتروكة ، كما أنه يرفع حرارة الجسم ويزيد النبض بحيث يبلغ ١٢٠ الى ١٣٠ درجة في الدقيقة الواحدة ، ويستدعي الدم في الوقت نفسه الى نواحي الجسم السطحية فينعشها ويريح من عبئه الأعضاء الداخلية ، وعلى الخصوص المعدة والكليتين . وهذه الراحة التي تنالها الأعضاء الداخلية ضرورة لتجديد حياتها وتقويتها على متابعة أعمالها .

طبيعياً يمكننا استعمال الحمامات الساخنة في حالات الرثية ، وفي أمراض المسالك التنفسية الحادة . ولا سيما عند الأولاد في التهاب الشعبتي الرئوي (٣٨ درجة مئوية) ، فيترك الولد في الماء مدة عشر الى عشرين دقيقة ، وتوضع كمادات ماء بارد على رأسه طيلة مدة الاستحمام منعاً لاحتقان الدماغ ، وذات الحمامات الساخنة تستعمل أيضاً في حالات التهاب السكلى الحادة وفي تهدئة الأعصاب أيضاً .

غير أنه يجب الاحتراس بعدم أخذ الحمام الساخن من التعرض لاضرار البرد والمجاري الهوائية لأن الجلد المتمدد الحار يصاب أحياناً بالنسبات الباردة فتعثر الإنسان القشعريرة وهي تهب السبيل الى بعض الأمراض بل قد تقضي أحياناً الى الموت اذا لم يحسب لها حساباً .

ولاجتناب هذا الأذى يقتضي بعد الانتهاء من الاستحمام ، التمدد في فراش مدة نصف ساعة تحت غطاء خفيف في غرفة محفوفة من مجاري الهواء ، وأنسب وقت لذلك هو في المساء قبل النوم . وينبغي على كل حال عدم الاستحمام بتاتاً قبل مرور ساعتين على تناول آخر وجبة من الطعام . ويجب على الذين بلغوا السن ٤٥ فما فوق اجتناب أخذ الحمامات الساخنة جداً (٣٨ — ٤١ درجة مئوية) لأنهم غالباً ما يكونون مشتبين بأمراض غير ظاهرة ولا يُشعر بها من ناحية القلب والأوعية الدموية .

٢ — الحمام الفاتر : (٢٨ الى ٣٤ درجة مئوية) : هو من أفضل أنواع الحمامات ، لا سيما في الصباح ، لأنه ينظف جيداً ، وينعش ويحمي من البرد ومن التهاب الشعب وذات الرئة التي تفتك بالكثيرين سنوياً . وهو يفيد على الخصوص ذوي الأمزجة العصبية والاشغال العقلية والمصابين بأمراض القلب ، والمسلولين ، ونحاف الأجسام ، والناقلين من الأمراض وخصوصاً في الصيف حيث يلطف حرارة البدن ويزيل التعب والكسل الناجمين من الحر . كما أنه يفيد أيضاً في حالات الأرق العصبي والنوراستنيا (ضعف الأعصاب) والهستيريا ، وفي الأوجاع الداخلية لالتهاب الأعصاب المتعدد المنتشر (Polynévrite) ، والسَّهَام Tabes . زد إلى ذلك أن استعمال الحمامات الفاترة أو الساخنة تساعد على تفريغ المثانة وتسهل ادخال القنطرة في الاحليل Cathéterisme في حالة تضيق القناة البولية ، هذا فضلاً عن فائدها أيضاً في بعض الأمراض الجلدية كالْحُكَاك وغيره .

وبوجه عام يكون الحمام الفاتر مفيداً تماماً تكون قوى الجسد منخطة أو عندما يكون الشخص امرأة نحيفة أو ولداً ضعيف البنية أو حينما يكون الطقس بارداً جداً .

٣ — الحمام البارد (١٠ الى ٢٨ درجة مئوية) : تختلف درجة برودة الماء الذي يستحم به الانسان كما ترى بحسب حرارة الفصل أو برودته . وأما تأثيره الأول في الجسد فإنه يكمس الدم والقوة الحيوية من الظاهر الى الباطن . ثم يردّها الى الجلد والمجموع العضلي . وهذا ما يسمى بردّ العمل . وباندفاع الدم من الظاهر الى الباطن يتهيج القلب ويشد عمله وتقوى انقباضاته فيندفع الدم منه بسرعة الى جميع أعضاء الجسم فتزداد تغذيتها من توارد الدم اليها . يزول منها الاحتقان المزمّن وتغدو أحسن حالاً للقيام بعملها . غير انه يجب

الانتباه جيداً عند استعمال الحمام البارد الى بعض النقاط : أولاً — ان الغطس الفجائي هو أفضل الطرق لأقوياء البنية خلافاً للضعفاء الذين يجب عليهم أولاً أن يمدحوا أجسادهم بمنشفة أو أسفنجة مبلولة ثم يغطسون في الماء . ثانياً — لا يجوز أن يقف الانسان في الماء وجسمه غير مغمور به لئلا يتسبب عن ذلك احتقان القلب والأعضاء الداخلية ولا يحصل من ذلك حينئذ رد فعل تام . ثالثاً — لما كانت المرشة المعروفة بالدوش لا يحتملها إلا بعض الناس، وبخاصة الضعفاء والنساء والأولاد ، فيستحسن إذ ذاك سكب الماء سكباً على جسدكم . أما أقوياء البنية فالمرشة تكون بالعكس مفيدة جداً لهم ولا يخشى عليهم من صدمة الماء الشديدة الباردة . رابعاً — من الناس من يتعود الاستحمام بالماء البارد صيفاً شتاءً ، فهذا لا ضرر منه البتة للشبان وأشداء البنية . أما الضعفاء فعليهم أن ينقطعوا عنه في فصل الشتاء وأيام البرد الشديد ، ويستغيضوا عنه بالغسل البسيط أو بمسح الجسم بأسفنجة مبتلة بالماء خوفاً من صدمة الماء البارد في بدء الاستحمام . خامساً — إذا أريد من الاستحمام تنشيط القوى وانعاشها فقط مع تجنب صدمة الماء فيستحسن إذ ذاك أن تكون درجة حرارة الماء أقل من درجة الهواء الجوي في الصيف بعشرة درجات ، ومساوية لها أو أعلى منها بعشر درجات في الشتاء ، فيغطس المستحم بها فجأة مدة ٥ — ١٠ دقائق ، ثم يفرك جسمه حالاً . وأخيراً لا يرتدي ملابس إلا بعد أن يدفأ جسمه تماماً . وهذا الاستحمام في فصل الصيف لذيذ ومفيد جداً للجسم ويكسب المرء صحة ونشاطاً وارتياحاً .

ويمكن القول بوجه عام ان الاستحمام بالماء البارد يقوي العضلات وينبه القوى المنحطة ويلطف أو يخفف حرارة البدن ، كما انه يخفف من سرعة الدم فيفرج القلب والرئتين ويجعل سطح الجسم منيعاً ضد البرد ، خصوصاً بعد فركه وتحفيفه جيداً فيتجدد نشاطه ، ولذا يكتسب الجسم بالحمام البارد القوة والمناعة ضد النزلات والرشوحات والالتهابات المختلفة . أما من حيث مساوئه واضراره فالشخص الضعيف الجسم قد يرتعش من جراء ملامسة جسمه للماء البارد . وإذا كانت الأعصاب ضعيفة خيف من الاستحمام بالماء البارد أن يشل المخ وان يبلد قوة التفكير خصوصاً في فصل الشتاء . كذلك قد يكون له أثر سيء في القلب اذا بلغ الانسان

أواسط العمر (فوق الأربعين) ، وخصوصاً الذين عندهم استعداد للغشي Syncope ، أو عند المصابين بالنزوف المعوية والتهاب البريطون .

أما فائدة الحمامات الباردة في الأمراض المعدية والحوية ، والتي منها في الدرجة الأولى الحمى التيفية ، فغير منكورة . وطريقة براند Brandt في مكافحة هذه الحمى كما يلي : يعطى حماماً للمصاب درجته ٢٠ مئوية لمدة ١٥ دقيقة وذلك كل ثلاث ساعات مرة واحدة عندما تبلغ أو تتعدى درجة الحرارة في الشرج ٣٩ مئوية . ويستحسن ، قبل أخذ الحمام ، رش وجه المريض ومصدره بماء أبرد من ماء الحمام المراد استعماله له تخفيفاً لتأثير صدمة الماء البارد . وينبّه جيداً في الوقت نفسه لحالة المريض فيما اذا تحدث له تشعيرة عند دخوله الحمام البارد ، أو اذا تلوّن وجنتاه أو شفناه بلون أزرق بنفسجي . ففي هذه الحالة يجب اخراجه حالاً من الماء البارد وتدليكه بالكحول أو الكولونية الى أن تعود للجسم حرارته الطبيعية ثم ينشف جيداً بقطعة نظيفة ويلبس ملابسه ، أو ياف في ملابسة السرير أو البطانية ، ويعطى فنجاناً من أي منقوع دافئ مثل الزيزفون أو الشاي أو القهوة أو ليمونادة أو قدح من الخمر .

غير أن استعمال الحمامات الباردة حسب طريقة براند غير مقبولة من أغلب المرضى بالنظر لبرودة الماء التي تفاجئ الجسم . ولذلك يستحسن اللجوء الى حمام مبرد تدريجياً ، فيحضّر أولاً حمام درجة ٢٨ مئوية ، وبعد دقيقتين أو أربع دقائق يبرد ماؤه تدريجياً الى أن يصير بدرجة ٢٣ ، ثم ٢٢ ثم ٢٠ مئوية .

٤ — الاستحمام بماء البحر والبحيرات : هو أفضل أنواع الحمامات للأقوياء وأشداء البنية لأنه يجري في الهواء الطلق المشبع أوزوناً منشطاً من البحر ، ثم ان المستحم يكون مطلق الحرية في السباحة بمياه البحر ويستفيد جداً من هذه الرياضة البدنية . عدا ذلك فالأملاح التي في ماء البحر تكسب البدن قوة ونشاطاً وانتعاشاً بامتصاص الجلد لها ، هذا فضلاً عن لمس الأمواج التي تعمل على تنبيه الحواس والأعصاب . وهو من صنف الاستحمام بالماء البارد من حيث أن درجة حرارة الماء فيه بفصل الصيف تتراوح بين ١٧ و ٢٥ مئوية ، وكلما ازدادت برودة الماء يكون مفعول الاستحمام مقويًا .

زد على ذلك فحام ماء البحر من شأنه أن يساعد على الهضم ، ويفتح شهية الطعام ويقوي أعضاء الهضم والامتصاص فيساعد الجسم بذلك على التخلص من المواد غير الصالحة التي هي أولى أسباب الضعف والمرض ، وهكذا قل عن فائدته في تحسين الدورة الدموية . فالجلد يحتوي على شبكة مهمة جداً من الأوعية الدموية التي تحتوي بدورها أحياناً على $\frac{1}{3}$ من مجموع الدم ، وهذا المقدار يطرأ عليه زيادة أو نقصان بحسب درجة حرارة الماء . فإذا كان هذا الماء بارداً فأوعية الجلد تفرغ قسماً من الدم الموجود فيها . وإذا كان حاراً فالأوعية نفسها تمتلئ بالدم — ومن هذا نستدل ما لتأثير درجة حرارة الماء في الدورة الدموية العامة وفي التبادلات العضوية أيضاً بسبب هذا الانقباض والارتخاء ، ولذلك ممي الجلد بحق « القلب المساعد » .

وهناك أيضاً فائدة من الاستحمام بماء البحر بصفته مهييج لافراز الغدد الجلدية ، فهذه الغدد تفرز ، عدا الحوامض الدهنية والماء ، كثير من المواد السامة المتولدة من وظائف الجسم فبقدر ما يتقوى الجلد بصفته عضواً للافراز يكون تنظيف الجسم أحسن ، وحتى عرفنا أن تأثير الماء في الجسم يهييج الافراز ويطرد نفايات البدن ، أدركنا حينئذ ما للاستحمام في هذه الحالة من الأهمية والفائدة الكبرى .

أما مدة السباح بماء البحر فتختلف من دقيقتين أو ثلاث دقائق عند الضعفاء الى عشر دقائق أو أكثر عند الأقوياء وأشدها البنية ، وهذا منوط بحالة المستحم الصحية فيما اذا كان ضعيف البنية أو قويا ، معتاداً قبلاً على الاستحمام أو بالعكس . وبقدر ما يكون المستحم قوياً نشيطاً ومعتاداً على الاستحمام بماء البحر يمكنه البقاء مدة أطول في الماء والعكس بالعكس . ومهما يكن من الأمر فلا يجوز للضعفاء السباح في ماء البحر للمرة الأولى تجنباً لارعدة أو الصدمة التي تحدث أحياناً عند الغطس ، بل الأنسب أن يبدأ بالاغتسال بماء البحر في البيت فاتراً أو بارداً . فإذا زادت قوة المستحم صار الى البحر واغتسل واستحم فيه . هذا من جهة . ومن جهة أخرى لا يُسمح للاطفال السباح بماء البحر إلا إذا بلغوا السابعة من عمرهم ، كما أنه لا يسمح أيضاً للذين بلغوا الخامسة والحسين من العمر فافوق السباح بماء البحر إلا إذا كانوا معتادين عليه وبنيتهم قوية . وأحسن انحول الاستحمام

بماء البحر هو من آخر الربيع إلى أواسط الخريف أو آخره . أما الزمان الموافق لهذا الاستحمام فهو الصباح قبل الفطور (للأقوياء) ، وبعده للضعفاء ، ويكون ذلك قبل الطعام وليس بعده مباشرة ، أي أن يكون قد مضى على تناول الطعام ساعتين ونصف حتى يبدأ بالاستحمام ، ثم ينشف الجسم جيداً بعد ذلك بمنشفة خشنة إلى أن يجمر الجلد ويدفأ كل الجسد .

ومن القواعد الصحية الأخرى للاستحمام بماء البحر (أو البحيرات) هو تأثيره الفعال عند ذوي الأمزجة اللعناوية ، والمصابين بفقر الدم وسوء الهضم والاضطرابات المعوية على أنواعها ، فيكون لهم والحالة هذه مقويًا منشطًا ومصلحاً بشرط ألا يكون مكنهم طويلاً في الماء ، وأن يعملوا كثيراً من الحركة والرياضة العضلية .

أما الحالات الصحية التي يحظر فيها الاستحمام بماء البحر فهي :

١ — عند المصابين بالسل الرئوي مع وجود حمى أو عدها مهما كانت درجة المرض عند المصاب .

٢ — عند المصابين بضعف القلب أو أمراضه أي كان نوعها .

٣ — في أمراض الكلى والرثية (الروماتزم) والنقرس .

٤ — عند ضعيفي البنية والمصابين بتصلب الشرايين وأمراض الجهاز التنفسي .

٥ — عند الشيوخ والأطفال الصغار قبل السن الثالثة .

٦ — في الأمراض الجلدية الحادة والمزمنة ، وفي أمراض العيون والآذان .

٧ — خلال مدة الطمث عند النساء ، كذا في أوقات الحمل إذا كن غير معتادات عليه سابقاً .

٨ — عند بعض المصابين بأمراض الأعصاب أو بضعفها كالتوراستينيا مثلاً ، أما عند البعض الآخر فيكون بالعكس مفيداً لهم ، ولذا تجب مشورة الطبيب في غذا الأمر والاسترشاد برأيه .

الركنور عبده رزق

بيروت

الاب أنستاس ماري الكرملي

لقد غمر الأسى تلك القلوب التي تحنو على اللغة العربية بانطفاء مصباح ذلك الروح الذي ظل يرسل عليها من ضيائه ما ينير زواياها ، ويكشف عن معالمها ، وأشعل في الجوانح ذلك اللهيب من الحزن لانطواء هذه الحياة التي جادت بمذخور قواها وأنفقت ممحقة زهرة حياتها في القيام على خدمتها ، والدود عنها ، والعمل على حفظها ، ودراسة كثير من أصولها وبحث مشتقاتها ، حتى غدت مرجعاً موثوقاً بإطلاعه ، وإلمامه في أصول اللغة ، ومشتقاتها ، وبيان تلك الوشائج التي تربط بعض الكلمات العربية بنظائرها في اللغات القديمة ، وبعث كثير من دقائقها ، ونشر ما استتر من جواهرها ، ثم أخذ يمدّها بأقوى الأسباب فوق ما يخرجها من كتب بتلك الأبحاث المتنوعة ، الناضجة ، التي كانت تتجاوب بها المجلات الأدبية في أنحاء العالم العربي حاملة اليه ثمرات جهد متواصل ، وعبقريّة فذة ، ثم أخذ يصدر مجلته كأنما ضاقت بجهوده وناءت بمحصوله الصحافة والكتب ، فأراد أن يخفف من عبئهما بهذه المجلة .

والواقع أن هذا الرجل قد قدم للعربية من المنن ما تعجز عنه الجماعات ، فقد احتلّ حبه لهذه اللغة ، وشغفه بها ، كل مشاعر نفسه ، وعواطف قلبه ، فهي مجال نشاطه ، ونجوى ضميره ، وموضع عنايته .

وحسب هذه اللغة أن تظفر بهذه الجهود التي تتجلى مظاهرها في هذا الولع في البحث ، والتنقيب ، كما تتجلى في الدأب ، والسكد ، وراء المخطوطات النادرة ، فإذا ما أسعده الحظ ببعض هذه التحف ، إنثنى بها وهو لا يكاد يقف سروره عند حدّ ، فيسعى به حفيظاً ، ليطالعه في شوق ، ويستوعبه في لذة ، وقد كان له عناية خاصّة بوضع

المهارس المنظمة لـ مكتبه ، وبراعة فيها ، وهذه إحدى حسنات الغرب التي عادت على اللغة باليمن ، ولعله كان الوحيد فيما أعلم في العالم العربي في تفرد ونبوغه في هذه الناحية ، وقد تمت منه أنه وضع معجماً كبيراً ، ولا يزال عنده مخطوطاً ، فهل ينشط المجمع اللغوي بالاستيلاء على هذه البحوث ، ونشرها تعميماً للفائدة بها . وضئاً بهذا الجهد ، وتلك الأعوام التي بذلت في سبيلها ، وتنظيمها من الضياع ، والنسيان . ومن أولى وأحق من المجمع وكان — الأب — أحد أركانه الأقوياء ، ودعائه المتينة ، ولست أريد بهذه الكلمة دراسة هذا النابغة ، وتحليل آثاره القيمة ، فليس هذا وقته ، وأقلامه ، وإنما أريد أن أهدف من وراء هذه الحياة إلى عبرة نستخلصها منها ، وهي الإخلاص فيما يعالجه المرء من شؤون علمية كانت ، أو أدبية ، أو لغوية أو غيرها والتخصص في الناحية التي تبرز مزاياه فيها .

وقد توافرت هاتان الخصيلتان في — الأب أنستاس — فقد أرادت بيئته أن تتخذ منه قسيساً مبشراً ، فلم يستجب لهذا إلا بمقدار حتى لا يتجنى على مواهبه ، ولا يتحيف عبقريته . ثم عرف موطن قوته ، ومبعث خلوده ، فأخذ يمدد بكل ما يقويه ، وينشطه ، ويمده بالحياة . وحسبه هذا الترهيب في محرابه العلمي ، وإنقطاعه في ديره للبحث ، ولتأدية ما يمكن أن يؤديه الإنسان المخلص من ضروب التعبد العلمي ، وإخلاصه هذا الإخلاص الذي لم يدع فرصة يمكن الاستفادة منها ، واستغلالها لمواهبه وتركها ، فلم يلهو عن مواهبه حتى يلحقها الصدا ، ويجني عليها الاهمال ، أو يجعل رسالته تحت مشيئة الظروف إن أتاحت لها العمل عمل وإلا جارت عليها الحوادث ، بل قد فرغ من كل شيء ، وإتخذها شغله ، وراحته ، ويقظته ، ونومه ، وهذا إخلاص يعز كثيراً في هذه الأوقات ، وكأنما المقادير شاءت بهذه اللغة ألا تحرم من أمثال تلك الجهود ، فوكلت بها هؤلاء الرهبان ، ما رأيت الأب أنستاس مرة إلا طافت بذهني هذه الخواطر ، وبرزت لعيني هذه الحقيقة التي لا بد منها لكل جهد علمي منمر ، جزاه الله عن خدمته للغة — القرآن — خير ما يجزى العاملون المخلصون على عملهم وإخلاصهم .

محمد عبير الحليم أبو زهر

هذي هي الاغلال

هل الاغلال في أعناقنا ؟

ثورة جامعة ، تلك التي عصفت من حول كتاب « هذي هي الاغلال » الذي نشره الأستاذ القصيمي ، قاتهم الرجل في دينه واتهم في نواياه واتهم في أخلاقه . جماعات وأفراد ، هموا جميعاً يقاومون الفكرة التي يشتر بها ذلك الكتاب القيم ، ففكرة أن العقلية الدينية الجامدة هي المصنع الذي نعد فيه أصفاد العقل ، وتقتل فيه أغلال النفس . نزع الكتاب نزعة دينية رشيدة ، نزعة المسلمين الذين قال لهم نبيهم « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، لم يقل القوة المادية ولا القوة المعنوية ، ولا عين نوعاً بنفسه من أنواع القوى ، بل ترك معنى القوة يتحيز في فهم كل جيل من أجيال المسلمين بمقتضى الملابس التي تقوم من حوله . ومؤلف هذا الكتاب رجل حر الرأي واسع الفهم نير البصيرة ، إذ قضى بأن القوة التي يجب أن يعدها المسلمون في هذا الزمن هي « العلم » بالصورة التي فهمها الغرب ، صاحب المدنية السائدة في زماننا هذا . ولا أظن أن مسلماً من المسلمين يجادل في هذا مهما فعدت به المهمة عن تفهم روح العصر الذي يعيش فيه .

إلى جانب هؤلاء الذين أصابهم جمود العقلية الدينية ، رجال استطاعوا أن يتحرروا مما أصيب به غيرهم من مرض الرجعى إلى أساطير الأولين ، ونزعة الخوف من كل ما ألبسه الزمن ثوبا القداسة ، ولقد اطلعنا على كلمة لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن القاياتي أبدى فيها رأيه في كتاب « هذي هي الاغلال » تدمغ بعبارات منها ، باطل أولئك الذين حملوا قووس الهدم وراحوا يضربون بها الهواء ظانين أنهم يضربون بها في أصول الحق : قال فضيلته :

« معسكر الإصلاح في الشرق ، طليعته ابن خلدون ، باكورة الاجتماعيين ، وجناحه « السيد الأفغاني » ، وتلميذه « محمد عبده » و « السيد الكواكي » ، أما قلبه فهو

« السيد القصيمي » نزيل القاهرة اليوم ، مجدي في جيبته وقبائه ، وصمادته وعقاله ، ذلك هو السيد القصيمي ، إذا اكتسحت به عيناك لأول التاحتة ، قلت : زعيم من زعماء العشائر النجدية ، تخلف عن عشيرته ، لبعض طيمته ، حتى إذا جلست إليه فأصغيت الى حديثه الطيب أصغيت الى عالم بحر يفوق بعلم ديني واجتماعي .

« تعرفت الى العالم النجدي القصيمي ، فجلست اليه مرة ومرة ، ثم شهادته كره ، فناهيك منه داعية اصلاح ، أكثر ما يلهج به الشرق وأدواؤه ، وجهله ودواؤه .

« لم أقض العجب حين شهدت السيد القصيمي من عربي في شمائله ، ملتف في شملته ، يروعك منه عالم في مدرسته ، كاد يحيلني شرقياً بغيرته الشرقية ، وقد بسّيت مصرياً . أتخني هذا السيد لعهد متناول بكتابه « هذي هي الأغلال » ، وأنا ملول مكسال ، فنقلت عليّ الاحاطة به ، ثقل الهداية على القلوب ، والجد على لعوب ، ثم عدت فألقيت عليه نظرة جعلتني أمنحه إقبالة الحب الجميل ، على الحبيب المقبل ، فاذا الكتاب منهج اصلاح وخطة إفلاح .

« لقد احتوى كتاب السيد القصيمي برنامجاً لتكوين القومي ، قوامه الانحاء على أكثر من هذا الذي أصفه ، فأعده من عيوب شائنة للشرق ، هي تلك الشاجية الآتية : فسترة الشرق عن العلم ، تنويره بالجهالة ، الزهد المتصنع ، تكرهه للحياة النبيلة ، صور التوكل المكذوب ، سوء التفهم لأسباب العمل ، الى مشابه لهذه النقائص الشرقيات ، بل المخزيات « حياً الله السيد القصيمي ، ما أصدق نظرتي الى الحياة ، وأبعد صرماء في الهداية . لقد أذكرني حديثه — وما أكثر ما أذكره — عن فترة الشرق ، بل عن كيدته للعلم ، أن إحدى دول الأندلس أو المغرب لعهد قصي ، حظرت تعليم الفلسفة ، وان دولة أخرى هناك حرقت كتب مالك بن أنس ، رحمه الله .

أما بغداد حاضرة العلم الاسلامي والمدنية الاسلامية فقد سقيت أرضها الري ، من دم أهل الفقه يقتتلون ، عصبية على العلم ، هذا من شيعة المذهب الفلاني ، وهذا من عدوه !!! « أجل : لقد أذكرني السيد القصيمي أن مصالح العصر ، مجدد الأزهر ، أستاذنا « محمد عبده » لم يملك إدخال العلوم الاجتماعية الحيوية الى الأزهر ، إلا عن رشوة نفقة من الجوائز

المالية ، دفعه
بخطي ضيقة سر
« بي الآ
ولا أتخيرها
مين ، وفكر
« شعبان

في قوة لا تك
الكوكب ،
شعبان ، فاذا
متكون للعلم
هذا طر
أعلى من مذ
الكتاب في
استشهد على
أو العلماء
لقائل فرد ،
طام في تهوين

وقول

المالية ، دفعها الى اهليته ، فاذا تلك العلوم تدرس فيه ، وإذا الازهر يخطر في الحياة العادية بخطى ضيقة مسرة ، فسيحة كركة ، إلى نهضته المؤذنة اليوم بالنجح « وما يوم حليلة بسر »
 « بي الآن أن أصل القراء الكرماء بفقرة اقتطفها من أية ناحية لهذا الكتاب لا أعتمدها ولا أتخيرها بل أفتح الكتاب عنها ، كما يفتح المصحف للتفاؤل ، ليشهد القراء : أي لسان مبین ، وفكر يزین ؟؟؟ ، قال الأستاذ القصيمي :

« شعبان هبطا هذا الكوكب الأرضي الواسع الأرجاء ، فسار شعب تحت ضمان معرفته في قوة لا تكبسو ولا تفضل ، فاستغل واستغل ... ، وشعب آخر هبط غريباً في هذا الكوكب ، جاهلاً نواميسه وقوانينه ، فلم يدر كيف يأخذ ولا كيف يدع ... ، هذان شعبان ، فإذا عسى أن تكون النتيجة لاجتماعهما ، ليس هناك أدنى ريب في أن الغلبة ستكون للعلم والعرفان » .

هذا طراز موجز مما يفيض به الكتاب ، وتلك روح ملائكية السداد والتهدي ، وطراز أعلى من مذاهب العصمة الشعبية والجلال ، بيد أن لي لمحتين رفيقتين ، إلى بعض ما احتواه الكتاب في روحه الصالحة ودعواته الراجحة ، أولى اللحتين : أن الأستاذ القصيمي حين استشهد على بعض قضايا الاجتماعية ، ذهب ينشد أبياتاً من الشعر مضوغة ، لشعراء العلماء ، أو العلماء الشعراء ، فيقيمها بيّنات على قضايا تلك ، وإنما الشعر قضايا خطابية شعرية لقائل فرد ، لا تصف شأنًا اجتماعيًا ، ولا خلقيًا ، أنشد الكتاب قول الزخشري ، وهو عالم في تهوين العلم ، وتزوين الجهالة ، على مذهب صوفي .

العلم للرحمن جلّ جلاله وسواه في غمراته يتقهم
 ما للتراب وللعلوم وإعما يسعى ليعلم أنه لا يعلم
 وقول ابن أبي الحديد المفسر :

فيك يا أغلوطة الفكر حارأمري وانقضى عمري
 سافرت فيك العقول فما رجحت إلا أذى السفر
 فلقى الله الأولي زعموا أنك المعروف بالنظر
 كذبوا إن الذي ذكروا خارج عن طاقة البشر

أجل يا مولاي ، أليس الله كما وصف الشاعر « أغلوطه الفكر » ، « خارج عن طاقة البشر » فما يستنكر من هذا ؟؟؟

على أن هذه المقالة ، وأشباهاً لها ، مقالات شاعر متخيل ، وقائل متأول ، لا تقيم المذاهب الاجتماعية ، ولا تنهض قضية

أما ثمانية المحتين ، فتلك أن السيد القصيمي حين شهد تخلف الشرقيين ، بل المسلمين ، عن ركب الحياة ، وموكب السراة ، تملكه إياس من انتهاضهم الاجتماعي ثانية ، ومن ديب دم الأحياء في الأشلاء ، وحق له ذلك فإن حلية الفاتر المهين ، كحلية الدفين ١١١

وقعدة الواهن في بيته كرفدة الميت في لحده

لست من رأي الأستاذ في طول إيارسه من أن تدب الحياة في تجاليد الشرق ، ويعتق من الرق ، ولا من رجعى الإباء والنبات ، إلى الآباء ، فإن الرقي إذا نبت ، ثبت ، وإذا قام ، استدام .

إن النهضة الاجتماعية إذا بدت ، سرت ، وإن نمت ، تأصلت . كنهضة الفجر في الليل يمدو خيطه بُدُو الشعرة البيضاء في اللثة السوداء ، حتى إذا استمرت حيناً ، طغى الصبح ، على الجُشجُش ١١١

صلى القابلى

وان المقتطف لعلى استعداد ، اتباعاً لما توحى به حرية الرأي ، أن ينشر كل ما يصله من بحوث الأدباء والفقهاء في هذا الكتاب على شرط واحد هو : أن يدور البحث من حول مسائل محددة المبادئ ونظريات علمية او فقهية توجه فيها المناقشة توجيهاً سديداً ابتغاء الوصول الى الحق . أما الأقوال المائعة والعبارات التي تتناول وجهات غير محددة من البحث كالقول بأن الكتاب مريب أو انه صنعة للبشرين او انه دخيلة من دخائل المستعمرين بلا أية بيئة من واقع او منطق ، فهذا ولا شك سلاح واهن يزيد الضعفاء ضعفاً ، وينم عن ضخمة يكرها العلم وينبذها الدين وتآبها الحرية ويمقتها الخلق السوي الذي هو من خلائق الرجال .

الأستاذ
« مجوي »
أنه خطأ وهو
وكتابه
وإلى زيادتها
واجعل طعامك
وإدأب في مزار
باعتدال إن كان
والاهتمامات ،

مظهر من مظاهر
تفكك على الطبقة
ثم يذكر
بفتوتهم الذهبية
فأصبحنا نرى

(١) الواقع
على « الفلسفة »



مكتبة المقتطف

كيف نسوس حياتنا بعد الحسين

للاستاذ سلامة موسى — المطبعة العصرية بمصر

الأستاذ الكبير سلامة موسى — إذا جاز لي أن أصفه بتعبير من تعبيراته — « هجومي » التفكير استقرازيه . فهو يتمنى كل رأي يحسبه صواباً ولو أجمع العالم على أنه خطأ وهو يجهر بمعتقداته دون أن يحسبها عن الناس كما يعتمد سواه .

وكتابه الأخير « كيف نسوس حياتنا بعد الحسين » دعوة جريئة إلى التأنق في الحياة وإلى زيادتها عرضاً لا طويلاً . فهو يقول : لا تفرط في المأكل والمشرب ، بل تأنق فيهما واجعل طعامك لذيقاً مزيئاً . ويقول كذلك : تأنق في ملبسك أيها الشيخ وعاشر الشبان وأدأب في ممارساتك الجنسية ودخّن إن كنت قد قضيت شبابك مدخناً ، واحتس الحر باعتدال إن كنت قد ألفتها في ريق شبابك ، وسلّ نفسك بالمطالعة واشغل وقتك بالهوايات والاهتمامات ، وروّض جسمك دون أن تحمّله شططاً ، وتجنب النوم وقت القيولة لأن النوم مظهر من مظاهر الموت ، واتخذ لنفسك ديناً ^(١) ، وحاذر البدانة والامتسكراش ، واعرض نفسك على الطبيب لماماً ، وعود ذا كرتك على اليقظة الدائمة ، وتابع الأنباء والأحداث .

ثم يذكر لك الكاتب الكبير طرفاً من حياة شيوخ تقدم بهم العمر ولكنهم احتفظوا بفتوتهم الذهنية ، ونشاطهم البدني وزاد نتاجهم في وقت كان المؤلف أن ينضب . فأصبحنا نرى سعد زغلول الشائخ يقود مصر كفتى مشعل الشباب ، وأصبحنا نقرأ مدونة

(١) الواقع أن تفسير كلمة دين الذي أورده الأستاذ سلامة موسى لا ينطبق على « الدين » فبدر انطباقه على « الفلسفة » .

جستينيان لعبد العزيز فهمي باشا يترجمها دون أن يقعده تقدم السن ، بل رأيناها — على حد قول الأستاذ سلامه — يلقي قنبلة يكون لها دوي في ربوع الشرق بدعوته الى هجرة الحروف العربية وإحلال حروف لاتينية محلها . وأضحينا نقرأ عن جورج برنارد شو وله وهو في التسعين من عمره يسود ويؤلف ويسرف في الكتابة كالبهر الزاخر الفيض . وأمامنا ويلز الذي ختم حياته قبل مطلع العام الجديد وكان ثوري التفكير سابقاً لعصره في آرائه ومعتقداته . وهالك لطفي السيد باشا يتسع وقته وتحتل صحته اهتمامه بشؤون السياسة العليا والعكوف على درس فلسفة أرسطو وبحبها . وماذا نقول في غاندي ذلك الزعيم الهندي الضامر الجسم المترهب في معيشته القانع بالكفاف من الملابس والمطعم ومع ذلك استطاع سياسة الدين السلبية ، وبصومه الأيام والليالي أن يقلق امبراطورية ماردة ويقض مضجعها . هذه أمثلة لبعض المعمرين الذين تحدث عنهم الأستاذ سلامة موسى في كتابه حديثاً طلياً يجمع بين الإيجاز واصابة الهدف المقصود . وليته أضاف الى القائمة اسم الدكتور فارس نمر باشا الذي خلف وراءه من التسعين ولا يزال حاد الذكاء ، حاضر الذهن ، يمي التحولات الفكرية الحديثة في ربوع العالم ويتابع نهضة التفكير في المجتمع الدولي . وليته لم يغفل اسم الأستاذ الكبير خليل ثابت بك وهو وإن كان قد تجاوز السبعين لا يزال في البدن والذهن نشيطاً لا يقعه العمل ولا تضنيه الكتابة ، يخطط بقاءه كل يوم أكثر من صحيفة كاملة من صحف مصر يعالج فيها شؤون السياسة الدولية كخبير اكتسب من تجربة الحياة ودروسها قدراً وفيراً . بل ليته حدثنا عن نفسه وكيف استطاع وهو مشرف على الستين أن يحتمل مرارة السجن من بضعة أشهر ويحجالد عوامل « التعرية » التي يتعرض لها نزلاء سجون مصر .

واعتقد أن هذا الكتاب جدير بالقراءة والاستيعاب لا من جانب الشيوخ والمكتهلين ، بل منهم ومن جانب الشباب الفائق المتسربل بالحياة المتشج بالنضارة لأن شبان اليوم هم شيوخ الغد ، ولأن المصريين بصفة خاصة ما فتئوا يعدون الشيخوخة فترة همود وقعود وتنع عن العمل وما يروحوا يغفلون عن وسائل استغلال الحياة الاستغلال النافع المجدي الذي يزيد منينا حياة ولا يزيد حياتنا منين .

وربع فلسطين

يتمتع
باقية ، بحظ
أن يقدموه
اكتشاف ما
عسام ينتفعون
الجوانح للوقوف
أن يحتلوا مكان
والتاريخ الا
التاريخية ، و
يجلوها ويعبر
في مجال النار
التي تعد من
كأجل ما يؤ
الملاحم .

ولا غر
الإطلاع ،
في هذا السف
وقد حرص ع
شخصيات مث
وتيمور لملك
فريدة في الت

١ - تراجم إسلامية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

يتمتع هؤلاء الذين يخطون بالإلسانية في سبيل التقدم ، ويتركون في حياتهم آثاراً باقية ، بحظ وافر ، من عنايتهم ، فهي تقف حيالهم موقف الدهش ، والإكبار ، لما استطاعوا أن يقدموه في مجال الحياة ، فيسوقهم ذلك الى التشوف إلى استبطان دخالهم ، ومحاولة اكتشاف ما استسر من حياتهم ، وعرض العوامل التي يعتقدون أن لها أثراً في حياتهم ، عساهم ينتفعون باحتذاء سلوكهم ، والنسج على منوالهم ، وارضاء ذلك الهيام المشبوب في الجوانح للوقوف على كل ما احتجب ، وإظهار ما خفي ، كل هذه الدوافع قد مكنت هؤلاء أن يحتلوا مكانهم في صدر التاريخ العام ويفوزوا بالحقاوة ، والاقبال في التراجم الخاصة ، والتاريخ الإسلامي حافل ، خاص بهذه الألوان من الشخصيات التي تجدد فيها الدراسات التاريخية ، والأدبية ، والنقدية ، والنفسية أوسع ميدان ، فلو ظفرت هذه الشخصيات بمن يجلوها ويعرضها عرضاً علمياً ، قوياً ، وفنياً موفقاً ، لكانت من أمتع ، وأنفع الدراسات في مجال التاريخ ، والأدب ، وقد قام الأستاذ - عبد الله عنان - بتقديم هذه الشخصيات التي تعد من ألمع الشخصيات في التاريخ الإسلامي ، وأروع الشخصيات في التاريخ العام ، كأجل ما يوفق المؤرخ المحقق ، والأديب الموهوب ، إلى إبراز هذه السمات ، وتلوين هذه الملامح .

ولا غرو فالأستاذ - عنان - يعد في الطليعة في هذا الضرب في الشرق ، فهو واسع الإطلاع ، عميق النظر ، قوي الحججة ، رصين الأسلوب ، جذاب العرض ، وهو يترجم في هذا السفر لثاني عشرة من أعلام التاريخ الإسلامي ، دون تقيد بالعصور أو الدول ، وقد حرص على أن تكون نماذج متباينة اشخصيات لها مميزات الخاصة ، ولا ريب أن شخصيات مثل . هرون الرشدي ، وصت الملك الفاطمية . وشجرة الدر ، والحسن الصباح ، وتيمورلنك ، وموسى بن نصير ، وعبد الرحمن الناصر ، وتبدو بمميزات الخاصة نموذج فريدة في التاريخ الإسلامي ، تستحق قبل غيرها أن تعرض في أبواب حية ، محدثة ، وقد

خصَّ البعض بالافاضة كتراجم — هرون الرشيد ، وشجرة الدر ، وعبد الرحمن الناصر ، واقتصروا بالنسبة للبعض الآخر على تقديم صور موجزة ، ولكن شاملة ، مركزة ، وقد اتبع فيها جميعاً منهج التحقيق التاريخي المدعم بأسانيد ، وقد قصد منها جميعاً الى تبيان الخصائص البارزة للشخصيات التي تناولها ، وقد قسمها المؤلف الى كتابين : الأول يضم شخصيات الشرق الاسلامي ، والثاني يضم تراجم المغرب والاندلس . وقد اتبع الترتيب التاريخي في تبويب الكتابين . فجاء منال الدراسة القوية ، الدقيقة ، فهل يفتح لنا هذا الكتاب السبيل الى الاكثار من معالجة هذا النوع القيم من الكتابة ؟ وان يمد الطريق لنتولى بالعناية والدرس ما في تاريخنا من روائع ، فيكون فاتحة خير في هذا المجال .

٢ - دفاع عن العلم

ترجمة الدكتور عثمان أمين

لقد بات العلم وهو في أمس الحاجة إلى مثل هذا الدفاع الذي يرد عنه عادة المغرضين ، ويحتمل عن شخصيته ذلك الغبار الذي أثاره التعصب الذميم ، وروجه الجهل ، حتى غدا وهو محط النقرة ، ومبعث البغض ، والعلم براء من هذه الصورة البغيضة والمنظر الشائن .

وقد استطاع هذا الدفاع أن يمزق ذلك القناع عن حقيقته ويزيل من الانفس ذلك الشئ الذي لا يهدأ ، وأن يرينا صورته غير مشوبة ، فاذا هي رائعة ، جميلة ، وهل هناك من هو جدير بالتبجيل من العلم الذي لا يثير حفيظته شيء مهما كان شأنه ، بل هو يتجرد من كل داعية من الدواعي ، ويتخلص من كل هوى من الأهواء غير إقباله على تأدية رسالته في إخلاص ، وعناية ، يستقرئ ، ويراقب ، ويسجل ، ثم يعلن ما هداه اليه مجهوده ، ثم لا يحاول أن يفرض نتائجه على أحد ، وهو داعية اخوة وعطف بين بني الانسان ، بل هو يحاول أن يجمع السبل على مائدة واحدة ، متآخية . وقد وفق في تقديم خير ما يمكن أن

يقدم للانسانية في كل ناحية من نواحيها ، ولا يعد هو مسؤول عن هؤلاء الذين استغلوا نشاطه ، وصطوا على مجهوده ، وصروه مصدر دمار ، ومنبع خراب ، بل المأخوذ بهذه الجريمة ليس هو العلم ذلك الراهب في صومعته بعيداً عن كل مأرب غير مأرب الخدمة الانسانية بل هم الذين أخذوه هذا المأخذ ، فاذا ما تسلسل إلى محرابه أناس مدخولي الضمائر ، فلا يجب أن ينوء بذنبهم ، ولا يرجع بأوزارهم ، وهو يستقل بطابعه الخاص عن الفاسفة والدين ، إذ كل منها يعطي الصورة الأخيرة للعالم ، ويحجز العقل داخل دائرتها ، ولكن العلم لا يتصدى لذلك ، بل هو يترك الباب مفتوحاً لمن يحاول أن يجول جولته في ميدانه وإن كان هناك من الآفاق ما لم يصل فيها إلى رأي فلا يطامن ذلك من عزته ، ما دام يقر بأن باب البحث لم يقفل بعد ، فلعل المستقبل يحقق ما لم يحققه الماضي ولا الحاضر ، هذا هو المحور الذي يدور حوله هذا الدفاع . ولكن الابداع كل الابداع في بناء هذا الدفاع ، وتسلسله ، وعمقه ، ونضجه ، فهو محكم المقدمات جيد النتائج ، عميق النظرة يتفد إلى اللباب يغريك بالتمهل لتأخذ أقصى ما يتهيأ لك أخذه بل بالبطء والوقوف في كثير من المواضع ، لأنك لا تكاد تمسك نفسك من الاعجاب ، ولا عقلك من الروعة ، كل شيء في هذا الدفاع يفتح أمام ذهنك عوالم من التفكير ، ويمحو من نفسك تلك الغشاوة التي ألقاها أعداؤه فيها ، ويقرّبه إلى قلبك ، بل يعمل في نفسك . وليس هذا الدفاع يخلب نفسك من طريق التأثير العاطفي ، بل هو ينزل من نفسك هذه المنزلة بالحقائق التي يعرضها عليك في هدوء ، وإتزان ، ولا تجذ في نفسك ما يرفضها ، ولا في عقلك ما يزيّفها ، وأنا لم أقرأ هذا الدفاع في لغته الأصلية ، بل قرأت الترجمة فشعرت بأنني مغمور بجو المؤلف ، وشخصيته ، حية ، قوية ، مؤثرة ، ومعانيه واضحة ، وآراؤه جلية ، مما لا يدع ريباً في أن الدكتور — عثمان أمين — قد وفق توفيقاً حسناً في هذه الترجمة

والدكتور عثمان أمين — من شباب النهضة الفكرية المعاصرة المثاليين الذين تأمل النهضة على أيديهم الخير الكثير في هذا الجانب الخصب من الحياة العقلية .

محمد عبير الحليم أبو زيد

روضة الطفل

سلسلة من القصص المشوقة للأطفال — دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

في مصر هيئتان تشرفان على الثقافة إشرافاً فعلياً في كل مرحلة من مراحل التنقيف . الأولى منهما رسمية تقوم على دعائم من السلطة الحكومية ومن خزانة الدولة والمجندين لها من رجالها وهي وزارة المعارف . أما الثانية فهي شعبية تقوم على دعائم من عزيمة القاعين بها ومن تضحياتهم العظيمة في سبيل النهوض بالحركة الثقافية ، ليس في مصر وحدها ، وإنما قد تخطت جهودها وأهدافها حدود مكانها إلى ربوع الشرق العربي ، وأعني بها « دار المعارف للطباعة والنشر » .

فلقد نهضت هذه الدار بالطباعة العربية نهضة مباركة ، فأخرجت خلال مدة زادت عن نصف قرن مؤلفات نفيسة أغنت المكتبة العربية بثروة طائلة . ثم اتجهت منذ عدة أعوام إلى تثقيف النشء ، فأصدرت كتباً في هذه الناحية صدّت نقصاً كان محسوساً ، وفراغاً كان ملموساً . وقد أفاد من هذه الكتب جيل من الأطفال .

وإلى جانب هذا وذاك عنيت بالثقافة العامة فأخرجت السلسلة الثقافية التي قدمت لقرائها في جميع الأقطار العربية ، في سهولة ويسر ، ألواناً شتى من العلوم والفنون بأقلام خيرة الكتاب ونعني بها سلسلة « اقرأ » فإن كل منصف يقدر لها جميل صنعها في إبراز هذه المجموعة ، ويحس مدى أثرها الكبير من ذلك الاقبال العظيم عليها إقبالاً طغى على ما كان يملأ السوق من فارغ القول .

وقد عادت هذه الدار أخيراً إلى الاضطلاع بالمهمة التي كانت قد أخذت نفسها بها ، وهي تقديم ألوان من القصص المشوقة للأطفال موضوعة على أحدث الأساليب الفنية في التربية وهي تهدف في ذلك إلى تقوية ملكة التخيل في الطفل وترغيبه في الاطلاع ، وقد حاولنا في ذلك طائفة من الأساتذة الاختصاصيين . وهي مهمة جليلة ليس هناك من هو أجدر بالقيام بها من تلك الدار التي عرفت بمجودة اختيارها واتقان مطبوعاتها .

وقد أخرجت من هذه المجموعة الجديدة كتباً مطبوعين بالألوان طبعاً متقناً ، أولها باسم « الكتكت المدهش » والثاني باسم « أرنبو والكنز » .

وهي آخذة بسبيل إصدار مجموعة أخرى في هذا المضمار بعنوان « أولادنا » تتفق في الغاية التي تهدف إليها هذه الدار مما يسجل لها بالاعجاب والتقدير .

الناطقون بالضاد في أمريكا

١٠١ صفحة من القطع الكبير — المطبعة التجارية بالقدس — الثمن ثلاثون قرشاً

الأستاذ يعقوب العودات المعروف في عالم القلم بالبدوي الملمم من الأدباء الذين ضمت ريشتهم بألوان شاعرية ، فهو رقراق اللفظ موسيقي العبارة ، مرهف الحس ، دقيق الملاحظة . وهو إلى جانب ذلك مخلص لعروبتة كل الإخلاص ، يحفل بالأدب العربي في كل صقع من أصقاع العربية — ويعني بدراسته عناية فائقة ، وآية إخلاصه أن أضاف إلى المكتبة العربية إلى ما أضاف إليها من مؤلفاته السابقة كالتفافة المنسية ، وإسلام نابوليون ، وأطلال جرش ، وما هو آخذ في إخراجها من مؤلفات ككتابه عن فوزي المعلوم ، والشاعر النائر ولي الدين يكن ، وديك الجن الحصي . . . أضاف إلى كل ذلك كتاباً ممتعاً توفر على نقله من الإنجليزية إلى العربية هو كتاب « الناطقون بالضاد في أمريكا » .

ونقله لهذا الكتاب خدمة جليلة قام بها البدوي الملمم إلى أبناء العربية الضارين في المهجر الأمريكي الشمالي ، والذين بهروا العالم بقوة عزيمتهم ، فقد نقلوا معهم إلى هناك نهضة حيوية عجيبة في بابها في كل ناحية من نواحي الحياة : إجتماعية واقتصادية ، وأدبية ، وفنية ، وكان معهد الشؤون العربية الأميركية في نيويورك قد قام بنشر هذا الكتاب بالإنجليزية عام ١٩٤٦ ، فاستهوى المترجم فكرة وأسلوباً ، فعكف على ترجمته رغبةً منه في أن يقف أبناء العربية في بقاعها على أنباء إخوان لهم هجروا أوطانهم — لا عن قلى — ولكن لينشروا أمجادها فكانوا رسل خير وبركة لم تقف بهم الغربة عن بلوغ مطمح ما .

وقد علق البدوي الملمم تعليقات ممتعة على هذا الكتاب فجاءت هذه التعليقات متممة للفائدة من هذا الكتاب .

وإننا إذ نعجب بمجهوده في إخراج هذا الأثر نرجو منه أن تتاح له الفرصة فيكمل هذا الكتاب ببحث عن الناطقين بالضاد في المهجر الأمريكي الجنوبي فانهم لا يقلون قوة أثر وعظم مجهود عن إخوانهم في الشمال .

حسن كامل الصبر في

افهرس الجزء الثانى

من المجلد العاشر بعد المئة

- ٨٣ مدرسة الاسكندرية وانتقال حركة العلم الى أنطاكية : اسماعيل مظهر
- ٩٤ مانس (قصيدة) : عدنان مردم بك
- ٩٥ الأطفال عشراء الوحوش : عوض جندي
- ١٠٠ برلمان الطبيعة (قصيدة) : شاعر البراري
- ١٠١ الصراع في العالم العربي : الياس يعقوب
- ١١٣ تلمس في الظلام : ضياء الدخيلي
- ١١٥ أم من الجحيم (قصة مترجمة) محمد جلال مظهر
- ١٢٠ عالم العين — شعر عامي : نقولا الحداد
- ١٢٢ تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني : محمد بن فتح بدران
- ١٣٣ الرياضيات في العلوم الطبيعية : فؤاد جميعان
- ١٣٦ الاثر الدنيوي في الفن القبطي : الدكتور باهور لبيب
- ١٤١ الاستحمام وفوائده الصحية والطبية : الدكتور عبده رزق
- ١٤٩ الاب أنستاس ماري الكرملي : محمد عبد الحليم أبو زيد
- ١٥١ هذي هي الأغلال : حسن القاياتي
-
- ١٥٥ مكتبة المقتطف * كيف نسوس حياتنا بعد الحسين : وديع فلسطين . تراجم إسلامية .
دفاع عن العلم . محمد عبد الحليم أبو زيد . روضة الطفل . الناطقون بالضاد في أمريكا :
حسن كامل الصيرفي .

لحق

من ١ — ٥٢ — لورد كليف : تأليف ماكولي : تعريب عبد المنعم صادق